الكتاب: نشأة التشيع
المؤلف: السيد طالب الخرسان
الجزء:
الوفاة: معاصر
المجموعة: من مصادر العقائد عند الشيعة الإمامية
تحقيق:
الطبعة: الأولى
سنة الطبع: ١٤١٢ - ١٩٩١ م
المطبعة: امير
الناشر: انتشارات الشريف الرضي
ردمك:
ملاحظات:

السيد طالب الخرسان
نشأة التشيع
طبع على نفقة الحاج
العلامة الشيخ إبراهيم الحائري دام توفيقه

(هوية الكتاب)
الكتاب نشأة التشيع
المؤلف الأستاذ السيد طالب الخرسان
الطبعة الأولى
سنة الطبع ١٤١٢ م ١٩٩١ م
المطبعة أمير
الكمية ٢٠٠٠ نسخة
السعر ٨٠٠ ريال
الناشر انتشارات الشريف الرضي

بسم الله الرحمن الرحيم
(المقدمة)
الحمد لله الذي جعلنا من أمة نبيه، ونورنا بنور ولاية وليه، وأبصرنا بالرجوع إلى أوصيائه وأمنائه فإنهم حجج الله على خلقه، وأصلي وأسلم على محمد وآله ما دامت الدنيا والآخرة باقية ببقائه.
وبعد: ذكر بعض الجهال طرفا من الالباس على ضعفاء الناس، أن مذهب (الشيعة) حدث على رأس أربعمائة من خلافة بني العباس، ولم ينظر إلى قول أكابر شيوخه كابن مسكويه وغيره.
ذكر في كتابه (تجارب الأمم): أنه لما قتل الحسين عليه السلام اجتمعت الشيعة بالكوفة. وسنذكر علة تسمية (الرافضة) في بابه، ولو سلم ذلك فحدوث اللقب قد يتوخر عن حدوث الملقب، وقد قال يحيى القرشي في (منهاج التحقيق): إن معاوية لما سن سب علي عليه السلام سمى ذلك (عام السنة) وبه سميت (أهل السنة) لا ما يوهمون به أهل السنة والجماعة.
وذكر ابن عبد ربه في كتاب (العقد الفريد): أن هذين أحدثهما

معاوية بعد قتل علي وصلح الحسن. ونحوه ذكر العسكري في كتاب (الزواجر).
وحكى الكرابيسي: أن ذلك من يزيد حين دخل عليه رأس الحسين عليه السلام، وحكى صاحب (الإبانة) أن الحجاج قال: سنة الجماعة سنة أربعين، وقال أبو يوسف: يقولون: السنة السنة إنما هي سنن الحجاج وأصحاب الشرط.
وفي (مسند) ابن حنبل، قال أنس: ما أعرف اليوم شيئا مما كنا عليه على عهد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم - قلنا: - فالصلاة، قال: أو لم يضعوا فيها ما قد علمتم؟
وقد أسند ابن السمعاني وابن مردويه قول النبي - صلى الله عليه وآله وسلم -: (من سب عليا فقد سبني) وروى ابن مردويه من عدة طرق: (من سب عليا فقد سبني ومن سبني فقد سب الله). ومن طريق الحسن وزيد ابني علي عليه السلام نحو ذلك.
قال المخالف: بلغ من إخفاء دينكم أن تعلنوا أنفسكم، إذا قيل: لعن الله الرافضي قلتم: مثله.
أجبنا: فأنتم لعنتم إمامكم الذي هو أعظم من ذلك إذا قلنا: لعن الله من خالف النبي - صلى الله عليه وآله -، قلتم: مثله، مع نقلكم في (صحاحكم): أن عمر خالفه في كتابه الكتاب، ولعن الإمام عمدا أبلغ من لعن النفس تقية، ويكفيكم ما خرج في كتبكم عن عائشة من قول النبي - صلى الله عليه وآله وسلم -: (شر الناس من يتقى الناس فحشه).
وقد ذكر صاحب كتاب (الأوصياء): إن القهر والاضطهاد في صالحي ولد آدم طبقة بعد طبقة إلى ما يشاء.
ولقد بلى أيوب بالبلاء، وعنى يعقوب بالعناء! وناح نوح حتى

ثوى، وبكى داود حتى ذوي، ونشر يحيى، وذبح زكريا، وقتل بنو إسرائيل الأنبياء، ولو دلت المغلوبية على بطلان الدين، بطل الإسلام، حيث هرب في ابتدائه سيد المرسلين – صلى الله عليه وآله وسلم – ولا عيب إذا ظفر الشقي بالولي.

فحربة وحشى سقت حمزة الردى * وحتف علي في حسام ابن ملجم

وقد قال – صلى الله عليه وآله –: (أشدهم بلاء الأنبياء ثم الأمثل فالأمثل).

وقد أخرج البخاري ومسلم حديث المغيرة: (لا تزال أمتي ظاهرين حتى يأتيهم أمر الله، وهم ظاهرون) قال الصادق عليه السلام: (أهل العلم)

وأخرج مسلم وأبو داود والترمذي: (لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق لا يضرهم خذلان من خذلهم) فهذا صريح في أن خذلانهم لا يبطل أديانهم ومع ذا فليتخد (الناصبة) حكام الجور أئمة لهم، لأنهم الآن تحت قهرهم، مع إجماعهم على الباطل، إذ يجب عليهم نصب الإمام شرعا بزعمهم، فالظلمة على قولهم أحق بالأمر منهم، إذا كان السلطان لهم.

ومن أحسن ما يتمثل به:

فكم في الأرض من عبد هجين * يقبل كفه حر هجان

وقد يعلو على الرأس الذباب * كما يعلو على النار الدخان

وأما مغلوبية الشيعة بالدليل، فليس إليها بحمد الله من سبيل، فإن براهينها من العقول مشهورة، ومن المنقول في صحاح مخالفيهم مذكورة.

قال المخالف: فأنتم الأقلون، أجبنا: فالنبي – صلى الله عليه وآله – وأصحابه أولا هم الأقلون، وعلى هذا إلا مثل قول فرعون: (إن هؤلاء

لشرذمة قليلون) (١). وقد قال تعالى: (وما آمن معه إلا قليل) (٢) ونحوه كثير، ومنه: (وقليل من عبادي الشكور) (٣).
فإن قال: كل قليل شكور، ولا ينعكس إلى كل شكور قليل، بل إلى بعض الشكور قليل أجبنا: فإذا حصل الشكور ببعض القليل، خرج البعض الآخر منه، وجميع الكثير، ولزم المطلوب، على أن قولهم المعنى كل شكور قليل، ينعكس بالنقيض إلى كل ما ليس بقليل ليس بشكور، فالكثير ليس بشكور، فالكثير مذموم، والمراد إيقاع نسبة (ليس بشكور) على ما ليس بقليل، لوجوب تطابق العكس للأصل في الكيف كما علم في المنطق.
ولما قلنا: نرى في (السنة) من تشيع، ولا نرى من (الشيعة) من يتسنن، وذلك دليل على حقيقة التشيع.
قالوا: هذا يدل على بطلان التشيع، ولأن جميع الأديان إنما فسد في آخرها بالخروج إلى الأصنام وغيرها عنها، ودين الإسلام إنما فسد بحدوث الرفض فيه، وتقوم الساعة على هذا الفساد، حتى يعود الدين غريبا كما في الحديث فالرفض منقصة.
أجبنا: أول ما فيه أنه معارض بقول المسلمين: نرى من الكفار من أسلم فالإسلام منقصة.
وثانيا: أن حدوث الفساد إنما هو بفعل (السنة) حيث قتلوا أولاد نبيهم، وشردوهم عن أوطانهم، ومنعوهم عن ميراثهم، وسبوا عليا عليه السلام في زمان إمامته بالاتفاق على منابرهم.
قال شيعي:

---

(١) سورة الشعراء: الآية: ٥٤.
(٢) سورة هود: الآية ٤٠.
(٣) سورة سبأ: الآية ١٣.

يا أمة كفرت وفي أفواهها * القرآن فيه صلاحها ورشادها
أعلى المنابر تعلنون بسبه * وبسيفه نصبت لكم أعوادها
وثالثا: إن التشيع لم يكن كما ذكرته لك فيما سلف حادثا، والإمامية لم تفارق كتاب ربها وذرية نبيها، فلينظر ذو البصيرة والدين أبفعلهم فسد الدين أم بفعل الناصبين؟
ورابعا: بالمنع من قيام الساعة على فساد الدين بل على إصلاحه لإجماع المسلمين على قوله عليه السلام: (يملأها عدلا كما ملئت جورا).
قال المخالف: أفسدتم الدين بسب الصحب الصالحين (١)، أجبنا:

---

(١) أقول: وأما الأخبار الواردة في (الصحاح الستة) وغيرها مما ورد في شأن طوائف كثيرة من الصحابة، بحيث يظهر من الأحاديث كثرتهم وكثافة جمعهم - أما هذه الأخبار - فنقول: إن كان أهل الحديث والسلفية ملتزمين بالأحاديث وبالصحاح لا سيما (صحيح البخاري) - كما يدعون - فليقولوا - والعياذ بالله - حسب أصلهم بكفر هؤلاء الصحابة، وارتدادهم بعد رسول الله (ص)، وأنه لن ينجو منهم إلا مثل همل النعم.. وليس لهؤلاء أن يتعرضوا على من يقول بمضمون ما ورد في صحاحهم، فضلا عن الشاكين في عدالتهم، وهم الشيعة على ما نسبه إليهم المخالف من الشك في عدالتهم - بل هم - أعني أهل الحديث - مؤخذون على عدم أخذهم بما تضمنته صحاحهم!! وعلى عدم جعل ذلك من عقائدهم بعد أن ورد ذلك في الصحاح بطرق متعددة، وأسانيد مختلفة...
وأقبح من ذلك كله - في التحكم وفرض الرأي بلا دليل، بل مع وجود الدليل القاطع على خلافه - اعتراض المخالف - على الشيعة، وتشنيعه على الشيعة لشكهم في عدالة الصحابة، فهم يؤاخذون الشيعة على شكهم، ويجعلون ذلك منهم عظيمة من العظائم وجريمة من أكبر الجرائم.... بينما هم بصحاحهم تلك يعلمون الناس كفر الصحابة، ويعلنون ارتدادهم!!
وذلك نظير إيراد روايات تحريف القرآن في صحاحهم وكتبهم، ثم يرمون الشيعة بالقول بذلك، والشيعة من ذلك براء على ما سيأتي إن شاء الله تعالى.
أوليس الشيعة على حق في شكهم حينما يظهر رسول الله (ص) الشك في مثل أبي بكر بن أبي قحافة، فكيف بمن هو دونه، كما روى مالك في (الموطأ): ج ١ ص ٣٠٧، ومغازي الواقدي: ج ١ ص ٣١٠: أن رسول الله (ص) قال لشهداء أحد: (هؤلاء أشهد عليهم) أي أشهد لهم بالإيمان الصحيح، والسلامة من الذنوب الموبقات، ومن التبديل والتغيير والمنافسة في الدنيا، ونحو ذلك (كذا فسره السيوطي، نقلا عن ابن عبد البر).
فقال أبو بكر: ألسنا يا رسول الله إخوانهم؟ أسلمنا كما أسلموا، وجاهدنا كما جاهدوا! فقال يا رسول الله (ص): (بلى، ولكن لا أدري ما تحدثون بعدي)؟! فبكى أبو بكر ثم بكى ثم قال: إننا لكائنون بعدك؟!
وبعد هذا.... فإن المتقين المعين في قوله (ص) (ولكن لا أدري ما تحدثون بعدي) هو ذلك الذي خوطب بهذا الكلام.

وعلى كل حال.. فإن من الأخبار المشار إليها حول عدالة الصحابة.. ما رواه أحمد بن حنبل في (مسنده): ج ٦ ص ٢٩٧ عن أم سلمة أنه (ص) قال: أيها الناس! بينما أنا على الحوض جئ بكم زمرا، فتفرقت بكم الطرق، فناديتكم ألا هلموا إلى الطريق فناداني مناد من بعد فقال: إنهم قد بدلوا بعدك، فقلت: ألا سحقا ألا سحقا).

وروى البخاري في (صحيحه): ج ٨ ص ١٥٠ - ١٥١، وفي (الجمع بين الصحيحين): الحديث رقم ٢٦٧ عن أبي هريرة قال: (بينما أنا قائم، إذا زمرة، حتى إذا عرفتهم خرج رجل من بيني وبينهم، فقال: فقال: هلم، فقلت: أين؟ قال: إلى النار والله، قلت: وما شأنهم؟ قال: إنهم ارتدوا على أدبارهم القهقرى. ثم إذا زمرة (فذكر فيهم مثل الأولى) فلا أراه يخلص منهم إلا مثل همل النعم).

وفي (صحيح البخاري): ج ٨ ص ١٤٨ - ١٤٩، (ومسند أحمد) ج ٥ ص ٣٨٨ و ٣٩٣ عن حذيفة، أن رسول الله (ص) قال: (ليردن على الحوض أقوام، فيختلجون دوني، فأقول: رب أصحابي، رب أصحابي، فيقال: إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك).

ومن الواضح: إن هذه الكلمات لا تنطبق على عدة قليلة فقط، وليس المقصود بها من آمن بالنبي (ص) ورآه ثم سكن خارج المدينة المنورة ولم يعاشر النبي (ص) إذ لا يقال لمثل هؤلاء: (الصاحب) ولا (الأصحاب) وإن كان أصحاب الجرح والتعديل وقد توسعوا كثيرا في مفهوم الصحابي...

ولعلهم إنما تكلفوا التوسع في معنى هذا اللفظ، من أجل أن يصير أولئك الصحابة، الذين قال النبي (ص) فيهم: (إنهم يرتدون على أعقابهم القهقرى) هم خصوص أصحاب الردة. من أجل أن يخلص لهم الصحابة الحقيقيون جميعا...

وبعبارة أخرى: إذا كان لفظ (صحابي) يشمل كل من رأى النبي (ص) فيكون الذين قال عنهم النبي (ص) إنهم يرتدون بعده هم خصوص أهل الردة، لأنهم فيهم صحابة رأوا النبي (ص) ثم ارتدوا - على زعمهم - وأما غير أهل الردة فكلهم صحابة أخيار لا تشملهم هذه الكلمات... وبذلك يفسح المجال لتعديل معاوية وأضرابه.

ولكن هذا تكلف واضح، فإن المرتدين على خلافة أبي بكر - على زعمهم - أشخاص وطوائف من غير الصحابة، والأخبار تفيد أن زمرا وطوائف كثيرة جدا من الصحابة سوف يرتدون، وأيضا فإن إطلاق كلمة (الصحابي) على من رأى النبي (ص) ولو من بعيد تكلف واضح في اللفظ، وإخراج له عن معناه.

وعلى كل حال... فإن الروايات في موضوع عدالة الصحابة، وما يصيرون إليه بعد النبي (ص) كثيرة مستفيضة، بل قال بعضهم: إنها متواترة فليراجع (صحيح البخاري) وغيره.

(ربنا اغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان ولا تجعل في قلوبنا غلا للذين آمنوا، ربنا إنك غفور رحيم).

لا إنما تبرأنا من الفاسقين المتغيرين كما ذكرته في كتبهم من حديث الحوض، لم يزالوا مرتدين فقال النبي – صلى الله عليه وآله وسلم –: (سحقا لمن غير بعدي)، فاتبعنا سيد المرسلين.

قال المخالف: تبرأتم من أزواج النبي – صلى الله عليه وآله وسلم أجبنا: إنما تبرأنا من زوجة خالفت ربها في قوله تعالى: (وقرن في بيوتكن) (١) ونبيها – صلى الله عليه وآله وسلم – في قوله: (من هنا تخرج الفتنة حيث يطلع قرن الشيطان) (٢)، وأشار إلى مسكن

---

(١) سورة الأحزاب: الآية ٣٣ قال ابن عباس: لما علم الله حرب (الجمل) قال لنساء النبي (ص): (وقرن في بيوتكن) الآية. وفي (اعلام النبوة) للماوردي و (فردوس) الديلمي عن ابن عباس، قال النبي (ص) لنسائه: (أيكم صاحبة الجمل الأديب تخرج فتفضحها كلاب الحوأب يقتل عن يمينها ويسارها كثير).
وفي (تاريخ البلاذري) و (مناقب الخوارزمي) ص ١١٠، و (فضائل ابن مردويه)، قال سالم بن الجعد: ذكر النبي (ص) خوارج بعض نسائه فضحكت الحميرا فقال: (انظري أن لا تكوني هي)، والتفت إلى علي (ع) وقال: (إذا وليت من أمرها شيئا فارفق بها).
إن قيل: هذا دليل على محبة النبي (ص) لها مع علمه بمحاربتها، فلم تنته المحاربة بها إلى تكفيرها كما تزعمون فيها.
قلنا: كيف ذلك وقد أجمعنا وإياكم على قوله (ص): (يا علي! حربك حربي)، وحرب النبي (ص) كفر.
وقد نقل ابن البطريق عن (عمدته) عن (الجمع بين الصحيحين) قول النبي (ص): (من سل علينا السيف فليس منا)، وقال النبي (ص) في موضع آخر: (علي مني بمنزلة الرأس من الجسد)، ولم يرد بقوله: (ليس منا) نفى الجنسية، ولا القرابة، ولا الزوجية، لأن ذلك تنفيه المحاربة فالمراد ليس من ديننا.
وأما وصيته له (عليه السلام) بالإرفاق فإنما هو صون لعرض على من أهل النفاق وقد بعث معها نساءا في زي الرجال فنعت عليه في المدينة فانكشف حالهن ليظهر كذبها وافتراءها وقد بذل أهل عسكرها مهجهم في رضاها، وقعدوا عن ابنة النبي (ص) لما طلبت إرثها ونحلة أبيها، ولم يكن في معونة فاطمة (ع) كفر ولا مجاهدة، كما في عائشة فقعودهم عنها أعظم نكر كنهوضهم مع ابنة أبي بكر.
ما صح أن المسلمين بأمة * لمحمد بل أمة لعتيق
جاءت تطالب فاطم بتراثها * فتقاعدوا عنها بكل طريق
وتسارعوا نحو القتال جميعهم * لما دعتهم ابنة الصديق
فقعودهم عن هذه ونهوضهم * مع هذه يغنى عن التحقيق
وقد أخرج أبو نعيم في كتاب (الفتن) وغيره حديث (ماء الحوأب)، وأخرج صاحب (المراصد) قول النبي (ص) لعائشة: (أما تستحين أن تحاربي لمن رضي الله عنه؟ إنه عهد إلي أنه من خرج على علي فهو في النار)، وقد رويتم قول النبي (ص) لعلي (ع) (بغضك سيئة لا تنفع معها حسنة)، فحرب الجمل أكان من حب أو بغض؟
والعجب أنكم رويتم أنه (ص) قال: (خذوا عن عائشة ثلث دينكم، بل ثلثيه، بل كله). فكان من دين النبي (ص) قتال الوصي (ع).
وفي (تاريخ الطبري): أنها كانت تركب الجمل وتحمل السلاح وترتجز:
شكوت رأسا قد مللت حمله
وقد مللت دهنه وغسله

ألا فتى يحمل عنا كله
وقطع على خطام جملها أربعمائة وهي مسرورة.
وروى الواقدي: أن عمارا (رض) قال لها: كيف رأيت ضرب بنيك عن أديانهم؟ قالت: لستم لي ببنين، قال: صدقت أمهاتنا نساء النبي (ص)، ذوات الحجاب، المطيعات لله ولرسوله، وأنت فمخالفة لهما.
وقد روت أن النبي (ص) لعن المرأة المشتبهة بالرجال، والرجل المشبه بالنساء. قال الفضل بن العباس:
آضت أمور الورى إلى امرأة * وليتها لم تكن إذا آضت
مبشر جاءنا يبشرنا * أميرة المؤمنين قد باضت
هبها تصلي بنا إذا طهرت * فمن يصلي بنا إذا حاضت
وقد أسند الخوارزمي: أن أبا الحارث مولى أبي ذر دخل على أم سلمة (رض) فقالت: أين طار قلبك لما طارت القلوب؟ قال: مع علي، قالت: وثقت والذي نفسي بيده لقد سمعت النبي (ص) يقول: (علي مع القرآن والقرآن معه، لن يفترقا حتى يردا علي الحوض) ومن العجب أن طلحة يطلب بدم عثمان، وهو ممن ألب على عثمان، ذكره المناوي في (فيض القدير): ج ٤ ص ٣٥٦، والمتقي في (كنز العمال): ج ٦ ص ١٥٣. ولما جاء لحرب البصرة أتاه عبد الله بن حكيم التميمي بكتاب إليه يدعوه إلى قتل عثمان.
قال السيد الحميري:
جاءت مع الأشقين في جحفل * تزجى إلى البصرة أجنادها
كأنها في فعلها هرة * تريد أن تأكل أولادها
عاصية لله في فعلها * موقدة للحرب إيقادها
فبئست الام وبئس الهوى * هوى حداها وهوى قادها
وفي رواية الشعبي: استشارت أم سلمة (رض) في الخروج فنهتها، وقالت: ألا تذكرين قول النبي (ص): (لا تذهب الأيام والليالي حتى تنابح كلاب الحوأب على امرأة من نسائي في فئة طاغية) فضحكت أنت، فقال: (إني لأحسبك هي)، فلما تهيأت للخروج أنشأت أم سلمة (رض) تقول:
نصحت ولكن ليس للنصح قابل * ولو قبلت ما عنفتها العواذل
وقالت في طريقها وقد استبطأت بعض جندها: ما كان أغنائي عن هذا لولا نفشة الشيطان، وعجلة الإنسان.
قال الزاهي:
كم نهيت عن تبرج فعصت * وأصبحت للخلاف متبعه
قال لها الله في البيوت قرى * فخالفته العفيفة الورعه
وقال السوسي
وما للنساء وحرب الرجال * وهل غلبت قط أنثى ذكر
ولو أنها لزمت بيتها * ومغزلها لم ينلها ضرر
فيا سفرا ضل تصحيفه * لها وهو لما يصح السقر
وقد تمثل ابن عباس فيها بشعر بني أسد.
ما زال إيماء العصائب بينهم * ثم الصديق وكثرة الألقاب
حتى تركت كأن رأيك فيهم * في كل معركة طنين ذباب
إذا عرفت هذا فالقوم ادعوا توبتها ليزيلوا بها جريمتها، وهي رواية من طرقهم فليست حجة على خصمهم، ومع ذلك فالتوبة رواية والمحاربة دراية، والرواية لا

تعارض الدراية، وأين التوبة والنزوع عن بغضة إمام العصر؟ وقد قالت حين بلغها قتله (ع) ما ذكره ابن مسكويه، وتاريخ الطبري:
فألقت عصاها واستقرت بها النوى * كما قر عينا بالإياب المسافر
وقد ادعوا أنها لم تكن قاصدة حرب، فلا وجه لتوبتها، وقد ذكر المؤرخون: أنها نهبت بيت المسلمين بالبصرة، وقتلت عمال علي (ع) بها، ونتفت لحية عثمان بن حنيف، وذكر أن عليا (ع) ندم على ذلك وهذا زور بحت، كيف ذلك؟ وقد أخبره النبي (ص) أنها تقاتله ظالمة له.
هذا وقد شكت عائشة في نبوته (ص) فذكر الغزالي في (الإحياء) أنها قالت: أنت تزعم أنك نبي؟ ولم ينقل أحد أنها تيقنت بعد ذلك، وفي (الإحياء) أيضا: كان بينها وبينه (ص) كلام فأدخل أباها حاكما فقالت: قل ولا تقل إلا حقا، فلطمها أبوها وقال: يا عدوة الله! النبي يقول غير الحق؟
وفي (مجمع البيان) لما نزلت (وامرأة مؤمنة إن وهبت نفسها للنبي) سورة الأحزاب: الآية ٥٠.
قالت عائشة: ما أرى الله إلا يسارع في هواك! وفي هذا تهمة لرسوله (ص)، وعدم الرضا بقضائه.
ولقد افترت على نبيها (ص) ما رواه الزهري عنا أنها قالت: قال النبي (ص): (إن عليا والعباس يموتان على غير ملتي)، وقالت: قال النبي (ص): (إن سرك أن تنظرين إلى رجلين من أهل النار فانظري إليهما).
فقبح الله قوما يروون ذلك في وصي نبيه، وقد تواترت فيه محبة الله ورسوله وغيرها من فضائله، وقبلوا شهادة عائشة فيه مع كونها من أكبر أعدائه.
أفلا تنظر العقول السليمة إلى ما صححوه في كتبهم مما يناقض ما هم عليه من لخديجة (ع) فضلا عن فاطمة (ع).
هذا وفي (الجمع بين الصحيحين) من أفراد مسلم والبخاري أن ابن الزبير أراد أن يحجر عليها.
فهذه شهادة منه وممن سمع حديثه، ولم ينكره، أنها أتت بما يوجب الحجر كالسفه والجنون.
(٢) صحيح مسلم: ج ٢ ص ٥٠٣، صحيح البخاري ج ٢ ص ١١٧

عائشة، وقال – صلى الله عليه وآله وسلم – (لن تفلح قوم ولو أمرهم امرأة).
وقولهم: فعلوا كذا كذا.
وهم افترقوا أربعا خارجة عن سنن الصواب فصدق عليهم قول الشاعر:
افترقوا أربعا بلا نكر * وكل فرقة تضلل الأخرى
إذ عثرة لها بتر * وأمرضوا مرضة فلا تبرى
وأما الشيعة فلم تخالف أدلة العقول، ولزمت مع ذلك قول الله والرسول فما أحقها بقول الأعرابي لناقته حيث سلكت أوسط السبل به:
أقامت على ملك الطريق فملكه * لها ولمنكوب المطايا جوانبه
فالشيعة صبرت على موالاة الله ورسوله، وأهل بيته، ورأت الذل معهم خيرا من العز بمخالفتهم، والفقر بحفظهم خيرا من الغنى بإضاعتهم، والخوف مع قضاء حقهم خيرا من الأمن مع كفر أنهم والقتل معهم خيرا من الحياة مع أعدائهم.
ولكن... ومع كل الجهود العظيمة للشيعة... نرى أن خصومهم عن بغيهم لا ينتهون، وعن غيهم لا يرعوون... وعن الإرشاد بالأكاذيب والافتراءات لا يرجعون
فها نحن نفاجأ كل يوم بمقالات عجيبة أبسط ما يقال فيها: إنك لا تلمس فيها الروح العلمية والموضوعية والاتزان وأنها حاقدة

ومسمومة، تثير الفتنة وتجر إلى المحنة، قد كتبت بعقلية عامية عمياء، متحيزة متعصبة لا تتورع عن تلفيق التهم والافتراء دون وازع من ضمير أو رادع من دين أو وجدان، هذا عدا عن أنها ليست إلا ترديدا لصدى افتراءات لفقها ابن تيمية في القرن الثامن وموسى جار الله ومحب الدين الخطيب في القرن الحاضر وغيرهم ممن أعمت بصيرتهم الأحقاد البغيضة وسيطرت على عقليتهم روح التعصب الذميم حتى ليستهينون بلا سبب ولا مبرر بكرامة أمة عظيمة تتدين بأصول الدين وفروعه، وتتمسك بأوثق عرى الإيمان: كتاب الله الكريم وسنة نبيه العظيم.

أضف إلى ذلك، أن في هؤلاء المستهترين المرشدين!!! جهل متراكم وهم عوام في زي العلماء يقولون بالشئ ونقيضه، ويؤمنون بالحديث ومعارضة، وهذا الاستسلام للمتناقضات هو البلاء للعقل والفتك به، وذلك جمود متوارث في هذه الفئة ولذا قل فيهم العلماء المحصلون بل غاية علمهم هي نقل الأحاديث وحفظها. وإن من أكبر ما يتعلقون به للوصول إلى غاياتهم تلك هو ما لصق بالإسلام عن طريق الإسرائيليات الباطلة، والعقائد السخيفة من التشبيه والتجسيم والجبر والقدر وقدم القرآن وأحاديث الغرانيق والجساسة وقصة زينب وقصة عبس وتولى وأشباهها، وكثير من هذه الأباطيل – ما ورد باسم السنة الصحيحة ومذهب السلف الصالح.

وقد جعل هؤلاء المتسمين بالعلماء والمرشدين بينهم وبين غيرهم من الفرق الإسلامية حواجز وفواصل بسبب تعلقهم بهذه التافهات ومن العجيب المدهش كثرة أحاديث التشبيه والتجسيم المعلوم أنها تسربت من اليهود إلى التراث الإسلامي بصورة الإسناد إلى رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) – ومثلها أحاديث الجبر والقدر التي صارت بلاء عظيما على المسلمين فكل الجهود التي تبذل

لرفع شأن هذا النوع من الأحاديث وهذه العقائد الباطلة بدعوى أنها السنة الصحيحة وأنها مذهب السلف الصالح وأنها... وأنها... فإنما هو خيانة للدين الحق وجناية على القرآن الكريم لأن هذا النوع من الأحاديث مخالف للقرآن ووضوح بطلانه وشناعته عند غير هؤلاء الجامدين المغفلين لا يحتاج إلى مزيد بيان ولا إلى إقامة برهان.

وأرى أن ترابط الجماعات والأمم وزيادة المد الثقافي سوف يكون من أبسط نتائجه أن يبتلى الشباب المسلم من أهل السنة بنوع من انفصام الشخصية والتعقيد النفسي تجاه الدين ومفاهيمه وأسسه، ولسوف يواجهون مشكلة فاسية بالنسبة للمسائل الدينية، وذلك عندما يواجهون الأسئلة التي لا جواب مقنع لها، والإيرادات الكثيرة التي لا يجدون لها حلا، ولا إلى دفعها سبيلا.

ونحن نقول لهم عند ذلك: أنه ليس (عقلا) أن ينكروا أصل الدين الإسلامي بل عليهم أن يتفحصوا عن الحق، فلعل هذا الايراد مبنى على عقيدة خاصة لأهل مذهبه، بينما تخالفها الفرقة الأخرى، ويكون الحق مع الفرقة المخالفة تلك

وإنني أؤكد للشبان المثقفين أنهم إذا أرادوا التحقيق في عقائد الشيعة، فعليهم ألا يعتمدوا في تحصيل معلوماتهم ومعارفهم في عقائد الشيعة على نقل مشايخ أهل السنة فضلا عن مثل أهل الكتاب المستأجرين المتهوسين، فإنا نرى أن من يعد من العلماء والأئمة ومن شيوخ الإسلام، ومن الأتقياء عندهم نراهم يفترون على الشيعة بلا مبالاة، ويتبع بعضهم بعضا بلا تحقيق ولا تدقيق.

لقد تعرضت هذه الطائفة إلى ظلم كتبة العصر حتى قال أحدهم: المذهب الشيعي دون مستوى العقل فهو مغلق، وقال: الشيعي يكفر بعقلية العصر الحديث حتى ترسبت في أعماقه معتقدات فيها أساطير

وخرافات.
وبهذا الشعور، كتبت (موسوعة الشيعة) لا غنى عنها لأي مؤرخ يتوخى استكمال بحثه ودراسته، ولا غنى عنها للقارئ الذي يتلهف إلى معرفة الشيعة.
وإني إذ كتبت عن الشيعة أؤكد للقارئ الكريم، بأني لا أتوخى من ورائه هدفا يعدو إملاء صفحة فارغة من صفحات تاريخنا الإسلامي.
وقد أخذت عن ثقات الفريقين (الشيعة والسنة) عثرت عليهم في بطون الكتب في مدة غير يسيرة وذلك لتشتت البال وسوء الحال ولولا ملازمة العوارض لعثرت على أكثر من ذلك بكثير، ولكن الرجوع في ذلك إلى قاعدتي: (لا يسقط الميسور بالمعسور) و (ما لا يدرك كله لا يترك جله). ولعل الظروف تساعدنا على غير ذلك: (والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وإن الله لمع المحسنين).
والله نسأل أن يوفقنا في دراستنا هذه للعمل بكتابه الكريم والسير على نهج خاتم النبيين وأئمة أهل البيت الهداة المعصومين (صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين) وأن ينفع به إنه ولي قدير.
طالب علي حسين الخرسان
بغداد – الكاظمية المقدسة شوال – ١٣٩٥ ه

(الفصل الأول)
الشيعة لغة: هي المشايعة - أي المتابعة والمناصرة والموالاة، فالشيعة بالمعنى اللغوي: هم الأتباع والأنصار وقد غلب هذا الاسم على أتباع علي (ع) حتى اختص بهم وأصبح إذا أطلق ينصرف إليهم. ففي (القاموس) - وشيعة الرجل بالكسر أتباعه وأنصاره، والفرقة على حدة ويقع الواحد، والاثنين والجمع، والمذكر والمؤنث بلفظ واحد ومعنى واحد. وقد غلب هذا الاسم على كل من يزعم أنه يتولى عليا (رض) وأهل بيته حتى صار لهم اسما خاصا، فإذا قيل فلان من الشيعة عرف أنه منهم (٢).
وقال صاحب كتاب (لسان العرب): والشيعة القوم الذين يجتمعون على الأمر، وكل قوم اجتمعوا على أمر فهم شيعة، وكل قوم

---

(١) القاموس المحيط: مادة شاع، ج ٣ ص ٤٧.
(٢) النهاية: ج ٢ ص ٢٤٦.

أمرهم واحد يتبع بعضهم رأى بعض فهم شيع وقال نقلا عن الأزهري: والشيعة يهوون هوى عترة النبي (ص) ويوالونهم (٣).
وبهذا المعنى اللغوي استعمل القرآن الكريم لفظة (الشيعة) كما في قوله تعالى: (وإن من شيعته لإبراهيم) (٤). أي ممن شايعه على أصول الدين أو شايعه على التصلب في دين الله ومصابرة الكاذبين (٥) وكقوله تعالى: (فاستغاثه الذي من شيعته على الذي من عدوه) (٦). أي ممن شايعه على دينه من بني إسرائيل (٧).
ونرى الزمخشري في شرحه للآية (ولقد أرسلنا من قبلك في شيع الأولين) (٨) يقول في شيع الأولين: فرقهم وطوائفهم والشيعة الفرقة إذا تفرقوا على مذهب وطريقة.
ويقول سبحانه وتعالى: (ولقد أهلكنا أشياعكم) (٩). والخطاب يعني أهل مكة، وقال عز وجل: (كما فعل بأشياعكم من قبل) (١٠). والمعنى هنا أهل مكة أيضا. وقوله تعالى: (ثم لننزعن من كل شيعة أيهم أشد على الرحمن عتيا) (١) هذا ما يذهب إليه مقاتل بن سليمان من أقدم من فسر القرآن، وصاحب (الأشباه والنظائر) (٢). وهذا يفسر

---

(٣) لسان العرب: مادة (شيع) ج ١ ص ٥٥، و (تاج العروس): مادة (شيع)، ج ٥ ص ٥.
(٤) سورة الصافات: آية ٨٣.
(٥) الكشاف: ج ٢ ص ٤٨٣.
(٦) سورة القصص: آية ١٥.
(٧) الكشاف: ج ٢ ص ٣٧٥.
(٨) سورة الحجر: آية ١٠.
(٩) سورة القمر: آية ٥١.
(X ١) سورة سبأ: آية ٥٤.
(١) سورة مريم: آية ٦٩.
(٢) الأشباه والنظائر: ص ١٥٤.

لنا أن لفظة (شيعة) قد وردت في الكتاب قبل ظهورها بالفعل.
فلفظ الشيعة إذا ليس مخصوصا بفرقة دون فرقة، بل يشمل كل فرقة أجمعت أمرها على شئ، غير أن هذه اللفظة خرجت عن هذا العموم، وغلبت على من تمسك بأهل البيت الطاهر حتى صارت لهم اسما خاصا يمتازون به عمن عداهم من سائر الفرق الإسلامية.
وكتب (اللغة) حافلة بلفظ (الشيعة) أمثال: (المصباح المنير) و (الصحاح).
الشيعة اصطلاحا: وانطلاقا من كون التشيع اعتقادا بآراء معينة ذهب العلماء والباحثون تبعا لذلك إلى تعريفه على اختلاف بينهم في مدى سعة هذه التعاريف وضيقها وإليك نماذج من تعريفاتهم:
(١) الشيعة: من شايع عليا - أي أتبعه وقدمه على غيره في الإمامة وإن لم يوافق على إمامة باقي الأئمة، فيدخل منهم الإمامية والجارودية من الزيدية والإسماعيلية غير الملاحدة منهم والواقفية والفطحية (٣).
(٢) الشيعة: هم من شايع عليا وقدمه على أصحاب رسول الله - صلوات الله عليه وآله - واعتقد أنه الإمام بوصية من رسول الله أو بإرادة من الله تعالى نصا كما يرى الإمامية أو وصفا كما يرى الجارودية (٤).
(٣) الشيعة: هم الذين شايعوا عليا على الخصوص وقالوا: بإمامته، وخلافته، نصا ووصية أما جليا وأما خفيا. واعتقدوا أن الإمامة لا تخرج من أولاده وإن خرجت فبظلم يكون من غيره أو بتقية من عنده (٥).

---

(٣) شرح اللمعة: ج ٢ ص ٢٨٨.
(٤) موسوعة العتبات المقدسة: المدخل ص ٩١
(٥) الملل والنحل: ج ١ ص ١٠٧.

(٤) الشيعة: هم فرقة علي بن أبي طالب المسمون بشيعة علي في زمن النبي ومن وافق مودة علي (٦).
(٥) والشيعة: هم الذين شايعوا عليا في إمامته واعتقدوا أن الإمامة لا تخرج عن أولاده، ويقولون: بعصمة الأئمة من الكبائر والصغائر والقول بالتولي والتبري قولا وفعلا إلا في حال التقية إذا خافوا بطش ظالم (١).
ولعل تعريف الشهرستاني أكثر تدقيقا لأنه يؤكد على النص بنوعيه – الجلي والخفي – وهو أمر ضروري لتمييز الشيعة خاصة الإمامية، عن غيرهم من المسلمين.
ويتناول الشيخ الطوسي الكلام عن النص والوصية ويربط التشيع بالاعتقاد بكون علي إماما للمسلمين بوصية من الرسول وبإرادة من الله (٢) ثم يقسم النص على نوعين: الجلي والخفي.
أما النص الجلي: فقد تفرد بنقله الشيعة الإمامية خاصة – وإن كان في أصحاب الحديث ما رواه على وجه نقل أخبار الآحاد...
أما النص الخفي: فيرى الطوسي أيضا أن جميع الأمة تلقته بالقبول، وإن اختلفوا في تأويله والمراد منه ولم يقدم أحد على إنكاره ممن يعتد بقوله (٣).
وقد يكون النص الجلي على إمامة علي وصفا لا تسمية، كما يرى الجارودية من الزيدية. قال الأشعري: إن الجارودية يزعمون أن النبي (ص) نص على علي بن أبي طالب بالوصف لا بالتسمية، فكان هو الإمام من بعده... (٤)

---

(٦) فرق الشيعة.
(١) دائرة معارف القرن العشرين: ج ٥ ص ٤٢٤.
(٢) تلخيص الشافي: ج ٢ ص ٥٦ – ٥٧.
(٣) نفس المصدر: ج ٢ ص ٥٦.
(٤) مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين، ج ١ ص ١٣٣.

ويخرج الطوسي السليمانية من الزيدية من فرق الشيعة لأنهم لا يقولون بالنص، وإنما يقولون: إن الإمامة شورى، وأنها تصلح بعقد رجلين من خيار المسلمين، وأنها تصلح في المفضول.. (٥)

ولما كان قول الصالحية والبترية من الزيدية في الإمامة كقول السليمانية (٦) ينطبق عليهم، على رأي الطوسي، ما ينطبق على السليمانية.

ونختتم التعاريف التي أوردناها للشيعة، بتعريف ابن حزم الذي نعده من أكثر التعاريف شمولا وأقربها للتدقيق.

يقول ابن حزم: ومن وافق الشيعة في أن عليا (رض) أفضل الناس بعد رسول الله (ص) وأحقهم بالإمامة وولده من بعده فهو شيعي، وإن خالفهم فيما عدا ذلك مما اختلف فيه المسلمون فإن خالفهم فيما ذكرنا فليس شيعيا (١).

ومما حدانا إلى تفضيل تعريف ابن حزم هو أن الاعتراف بأفضلية الإمام علي (ع) على الناس بعد رسول الله (ص)، وأنه الإمام والخليفة بعده، وأن الإمامة في ذريته من فاطمة (ع) هو أساس التشيع وجوهره. ففرق الزيدية التي تساهلت بقضية أفضلية الإمام علي (ع) علي سائر الصحابة، وجماعات الغلاة التي خرجت عن حد الإمامة إلى الربوبية يصعب حشرها في إطار التشيع العام.

ونرى الدكتور الشيبي يناقش بعض العبارات الاصطلاحية التي أدخلها الإسلام مثل الأنصار، والمهاجرين، والتابعين، والشيعة، فيقول: فالأنصار تنصرف إلى من ناصروا النبي (ص) من أهل المدينة كما تنصرف العبارات الأخرى إلى دلالاتها المعروفة.

---

(٥) نفس المصدر، ج ١ ص ١٣٥.

(٦) الملل والنحل ج ١ ص ٤٢.

(١) الفصل في الملل والأهواء والنحل: ج ٢ ص ١١٣.

وصارت عبارة (الشيعة) مختصة بمشايعي علي (ع) وناصريه.
ويخلص الشيبي إلى القول بأصالة عبارة (الشيعة) وصدورها عن روح الإسلام وطابعه الجديد في إطلاق الأوصاف على الجماعات التي يجمعها جامع معين، وتلك الروح العربية تنعكس من طابع العرب وطراز تفكيرهم. وعبارة الإسلام نابعة من هذا المنبع، والمسلمون هم المنقادون لله، والأنصار من نصروا النبي (ص)، والمهاجرون من هجروا الأوطان لنصرة النبي (ص)... والشيعة من شايعوا عليا، وكل ذلك جار على أسلوب العرب وطابعهم (٢).

---

(٢) الصلة بين التصوف والتشيع: ج ١ ص ١٠.

(الفصل الثاني)
بداية التشيع وبذرته التاريخية
أ - التشيع أيام النبي (ص)
اختلف الكتاب والمؤرخون وتضاربت أقوالهم وآرائهم في نشأة التشيع وسنستعرض نماذج من آرائهم في ذلك.
١ - رأى يرى أنهم تكونوا في زمان النبي (ص). وممن يذهب لهذا. البرقي المتوفى (٢٧٤ / ٢٨٠ ه) قال إن أصحاب علي أمير المؤمنين (ع) ينقسمون إلى الأصحاب، ثم الأصفياء، ثم الأولياء، ثم شرطة الخميس... و. يجعل من الأصفياء: سلمان الفارسي، والمقداد، أبو ذر، عمار، أبو ليلى، شبير، أبو سنان، أبو عمرة، أبو سعيد الخدري، أبو برزة، جابر بن عبد الله، البراء بن عازب، عرفة الأزدي... (٣).
وإذا علمنا أن هؤلاء من أصحاب محمد (ص) وأنهم تشيعوا لعلي (ع) والتزموا بتأييده - يوم سقيفة -، ينهض دليلا على وجود التشيع في حياة النبي (ص).

---

(٣) رجال البرقي: ص ١.

أما النوبختي المتوفى (٣٠٠ ه) فيقول: أن أول فرق الشيعة هم فرقة علي بن أبي طالب (ع)، المسمون شيعة علي (ع) في زمان النبي (ص) وبعده معروفون بانقطاعهم إليه والقول بإمامته (١)

ويورد السيد حامد حسين الكنتوري، أحاديث كثيرة في كتابه (عبقات الأنوار) الذي يزيد على عشر مجلدات أشارت إلى ظهور التشيع في عهد الرسول (ص).

والشيعة: اسم غير منتحل وقد كان على عهد رسول الله (ص) كما يشعر بذلك أبو حاتم الرازي فقد قال: أول ظهر في الإسلام على عهد رسول الله (ص) هو الشيعة، وكان هذا لقب أربعة من الصحابة وهم: أبو ذر الغفاري، وسلمان الفارسي، والمقداد بن الأسود الكندي، وعمار بن ياسر إلى أوان (صفين) فانتشرت بين موالي علي (ع)، حكاه في (الروضات).

والتلقيب بأهل السنة والجماعة كان سنة استقلال معاوية بالأمارة بعد مصالحة الحسن السبط (ع) فهو متأخر عن اسم الشيعة (٢)

ويرى صاحب كتاب (أصل الشيعة وأصولها): (٣) أن أول من وضع بذرة التشيع في حقل الإسلام هو نفس صاحب الشريعة الإسلامية، يعني أن بذرة التشيع وضعت مع بذرة الإسلام جنبا إلى جنب وسواء بسواء، ولم يزل غارسها يتعهدها بالسقي والعناية حتى نمت وازدهرت في حياته ثم أثمرت بعد وفاته.

ويستدل على ذلك بأحاديث وردت عن النبي (ص) في مدح علي (ع)، فقد ورد في (كتاب الدر المنثور في تفسير كتاب الله

---

(١) فرق الشيعة: ص ١٥.

(٢) كتاب الزينة: ج ٣.

أصل الشيعة وأصولها: ص ٨٧.

بالمأثور) في تفسير قوله تعالى: (أولئك هم خير البرية) (٤) أن ابن عساكر، أخرج عن جابر بن عبد الله قال: كنا عند النبي - صلى الله عليه وآله وسلم - فأقبل علي عليه السلام، فقال النبي: (والذي نفسي بيده أن هذا وشيعته لهم الفائزون يوم القيامة) (٥) ويذكر أن ابن عدي أخرج عن ابن عباس قال: لما نزلت الآية: (إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات) قال رسول الله (ص) لعلي (ع): (هو أنت وشيعتك يوم القيامة تبعثون راضين مرضيين) (٦).

ويذهب محمد حسين المظفر فيقول: إن الدعوة إلى التشيع ابتدأت من اليوم الذي هتف في المنقذ الأعظم محمد (صلوات الله عليه) صارخا بكلمة (لا إله إلا الله) فإنه لما نزل عليه قوله تعالى: (وأنذر عشيرتك الأقربين) (١) جمع بني هاشم وأنذرهم قائلا: (أيكم يؤازرني ليكون أخي ووارثي ووصيي وخليفتي فيكم بعدي)؟ فلما لم يجبه إلى ما أراد غير المرتضى (ع) قال لهم الرسول (ص): (هذا أخي ووارثي ووزيري ووصيي وخليفتي فيكم بعدي فاسمعوا له وأطيعوا) (٢).

ويعلق قائلا: فكانت الدعوة إلى التشيع لأبي الحسن (ع) من صاحب الرسالة تمشي معه جنبا إلى جنب مع الدعوة للشهادتين، ومن ثم كان أبو ذر الغفاري من شيعة علي عليه السلام، ثم يورد كلاما

---

(٤) سورة البينة: الآية ٧.

(٥) تفسير الطبري: ج ٣ ص ١٧١.

(٦) أورده الحسكاني في (شواهد التنزيل): ج ٢ ص ٣٥٧. (والصواعق المحرقة): ص ٩٢.

(١) سورة الشعراء: الآية ٢١٤.

(٢) تاريخ الطبري: ج ٣ ص ١٧٢ - ١٧٣.

اقتبسه عن صاحب (خطط الشام) قوله: عرف جماعة من كبار الصحابة بموالاة علي (ع) في عصر رسول الله (ص) مثل: سلمان الفارسي القائل: بايعنا رسول الله (ص) على النصح للمسلمين والائتمام بعلي بن أبي طالب (ع) والموالاة له، ومثل أبي سعيد الخدري القائل: أمر الناس بخمس فعملوا أربعا وتركوا واحدة، ولما سئل عن الأربع قال: الصلاة والزكاة، وصوم شهر رمضان والحج، قيل: فما الواحدة التي تركوها؟ قال: ولاية علي بن أبي طالب (ع) (٣)

ويرى الدكتور طه حسين في كتابه (الفتنة الكبرى) أنه لم يكن للشيعة معناها المعروف عند الفقهاء المتكلمين منذ أيام علي (ع)، ويقول: إن لفظ الشيعة كان كغيره من الألفاظ، يدل على معناه اللغوي الغريب. ويقول: إنه لا يعرف نصا قديما أضاف لفظ الشيعة إلى علي (ع)، قبل وقوع الفتنة ويقول: إنه لم يكن يعلم قبل وقوع الفتنة شيعة ظاهرون ممتازون من غيرهم من الأمة.

وهو ينكر أن يكون للإمام علي (ع) في حياته حزب منظم، أو شيعة، متميزة وأنه لم ينظم الحزب العلوي، ولم توجد الشيعة المميزة إلا بعد أن تم اجتماع الأمر لمعاوية وبايعه الحسن بن علي (ع).

ويضيف الدكتور إلى ذلك شاهدا من القرآن الكريم: (ودخل المدينة على حين غفلة من أهلها فوجد فيها رجلين يقتتلان هذا من شيعته وهذا من عدوه، فاستغاثه الذي من شيعته على الذي من عدوه، فوكزه موسى وقضى عليه) (١) الآية. وقول القرآن الكريم (وإن من شيعته لإبراهيم) (٢).

---

(٣) تاريخ الشيعة: ص ٩.

(٤) سورة القصص: الآية ١٥.

(٢) سورة الصافات: الآية ٨٣.

ويرى الشيخ محمد مهدي شمس الدين في كتابه (نظام الحكم والإدارة في الإسلام) بعد تحديده الظاهرة الأولى في مذهب التشيع أنها التمسك بولاء آل البيت وحبهم والانحياز معهم في كل نازلة تنزل وخطب يلم، إن ظاهرة (التشيع) كانت موجودة قبل يوم (السقيفة).

ويورد مؤيدا لقوله هذا بعض الأحاديث النبوية الشريفة منها:

(وإنه إذا كان يوم القيامة دعى الناس بأسمائهم وأسماء أمهاتهم، سترا من الله عليهم إلا هذا وشيعته فإنهم يدعون بأسمائهم وأسماء آبائهم).

ويورد حديث (الثقلين) وهو: (كأني قد دعيت فأجبت إني تارك فيكم الثقلين أحدهما أكبر من الآخر: كتاب الله عز وجل وعترتي، فانظروا كيف تخلفونني، فيهما فإنهما لن يفترقا حتى يردا علي الحوض!...) (٣)

فهذه الأحاديث وإن أنكرها الدكتور طه، في صحتها، تدل على حقيقة، وهي أن الإمام عليا (ع) كان أثيرا عند النبي (ص) جد أثير، فحادثة واحدة تكفي لنعلم مكانة الإمام علي (ع) من النبي (ص): استخلفه النبي (ص) حين هاجر من مكة إلى المدينة، أن يقيم بعده بمكة أياما حتى يؤدي عنه أمانته والودائع والوصايا التي كانت عند النبي (ص)، ثم يلحق بأهله ففعل ذلك!.

صحيح أن هذه لم تكن واضحة المعالم محددة السمات في عهد النبي (ص) لكن أبا سعيد الخدري يقول: ما كنا نعرف المنافقين

---

(٣) مسند أحمد بن حنبل: ج ٣ ص ١٧ وص ٥٩، وورد في كتاب (غاية المرام): ص ٢١١ - ٢٣٥، ٣٩ حديثا بهذا المضمون عن طريق السنة و (٨٢) عن طريق الشيعة.

على عهد رسول الله (ص) إلا ببغض علي بن أبي طالب (٤) لذلك لم يكن يطلق لفظ (الشيعة) إلا على طائفة من الصحابة، كانوا شديدي الاتصال بعلي (ع)، منهم: أبو ذر، سلمان، عمار، المقداد، وحذيفة بن اليمان.

ويرى مؤلف كتاب (نظرية الإمامة) (١): أن الحوادث الهامة التي تمت في عهد الرسول (ص) لا تتخذ بداية للتشيع، فحادثة (غدير خم) لا تدل على أن كل ما شاهدها وآمن بها كان شيعة لعلي، وإلا لكان عمر وهو المنسوب إليه هنأ عليا إذ أصبح مولى كل مؤمن ومؤمنة، من الشيعة، وهذا لم يذهب إليه أحد.

وإرجاع التشيع من الناحية التاريخية إلى عهد الرسول ليست إلا محاولة من جانب متكلمي الشيعة لنقض دعوى خصومهم القائمة على رد معتقدات الشيعة إلى أصول أجنبية.

بقي شئ ردده الدكاترة على سامي النشار، وأحمد صبحي، وكامل مصطفى الشيبي وغيرهم مما لا يعنينا إحصاؤهم في مؤلفاتهم وهو أن تشيع جماعة من المهاجرين لعلي (ع) كسلمان وأبي ذر وعمار بن ياسر (رض) وغيرهم لا يسمح لهم أن ينسبوا لهؤلاء عقيدة من عقائد الشيعة الإمامية في الدور الأخير للتشيع كالعصمة والرجعة والبداء ونحو ذلك مما استقر عليه المذهب لدى هشام بن الحكم، وزرارة بن أعين، وميثم التمار وغيرهم.

هذا الذي يردده الكتاب في بحوثهم لا يقصد منه إلا تكريس

---

(٤) الجامع الصحيح للترمذي: ج ٥ ص ٦٣٥ حديث ٣٧١٧، المستدرك على الصحيحين: ج ٣ ص ١٢٩، تاريخ بغداد: ج ٢ ص ٢٥٥، كنز العمال: ج ٦ ص ٣٩٤، حلية الأولياء: ج ٦ ص ٢٩٤، ذخائر العقبى: ص ٤٣، مجمع الزوائد: ج ٩ ص ١٣٣، كنوز الحقائق: ص ٦٣، الرياض النضرة: ج ٢ ص ٢١٤، نور الأبصار: ص ٧٢.

(١) نظرية الإمامة: ص ٣١.

النظرية القائلة بأن التشيع كان حدثا طارئا على الإسلام كبقية الفرق التي تطورت في أصولها ومبادئها مع الزمن حتى انتهت لمرحلتها الأخيرة، ولم يكن أصيلا في الإسلام ومن صنع صاحب الرسالة.
أما حديث العصمة والرجعة والبداء وغير ذلك مما استقر عليه التشيع أخيرا على حد تعبيرهم فعدم اشتهار كلمة العصمة في عصرهم التي تعني الاعتصام بحبل الله كما فسرها حفيد الإمام علي زين العابدين (عليهما السلام) لا يعني أن الشيعة الأوائل لم يكونوا يعتقدون بمحتواها لا سيما وهم ممن روى حديث (المباهلة) وروى أن الآية (إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا) نزلت في النبي وعلي وفاطمة وولديها (صلوات الله عليهم أجمعين).
وروى بالإضافة إلى ذلك أن الرسول (ص) قال أكثر من مرة: يؤكد التزام علي (ع) بكل ما جاء به الإسلام قولا وعملا، وليست العصمة شيئا آخر وراء ذلك.
أما الرجعة والبداء بالمعنى الذي يفهمه الكتاب منهما فليسا من أصول التشيع ولا من شروطه لا في المراحل الأولى منه ولا في المراحل الأخيرة، والتشيع لعلي والأئمة من بنيه في جميع مراحله لا يعني شيئا آخر وراء ما جاء به الإسلام من أصول وفروع.
هذه الأقوال والآراء التي تداولها الكتاب في تعليل نشأة التشيع، وفي مقابلها يرى الشيعة منذ أقدم عصورهم أن التشيع بمحتواه الشيعي وبما لهذه الكلمة من دلالة عند الشيعة أصيل أصالة الإسلام وجزء من محتواه، وهو ليس كغيره من الطوائف

والفرق الطارئة التي كانت وليدة ظروف وأحداث معينة كما أحصتها المؤلفات في الفرق الإسلامية ومجاميع التأريخ، وهو يعني فيما يعنيه اختيار علي (ع) لقيادة الأمة بعد النبي (ص) لإتمام المسيرة التي قطع منها أشواطا بعيدة لبناء الإسلام، وكانت بذرته الأولى يوم هتف النبي (ص) بكلمة التوحيد وأنزل الله عليه الآية (وأنذر عشيرتك الأقربين)، فدعا يوم ذاك عشيرته وجمعهم على طعام أعده لهم وهتف فيهم قائلا (أيكم يؤازرني على هذا الأمر ليكون أخي ووارثي ووصيي وخليفتي فيكم بعدي) (١) وظل طيلة حياته يستغل الفرص والمناسبات ليؤكد هذا الأمر وينوه بفضل علي (ع) ومقامه الرفيع حتى لا يدع مجالا أو حجة لطامع فيها.

(ب) التشيع أيام السقيفة.

(٢) رأي يرى أنهم تكونوا زمن السقيفة: وقد انتصر لهذا الرأي ابن خلدون (إن الشيعة ظهرت لما توفي الرسول (ص) وكان أهل البيت (ع) يرون أنفسهم أحق بالأمر وأن الخلافة لرجالهم دون سواهم من قريش ولما كان جماعة من الصحابة يتشيعون لعلي ويرون استحقاقه على غيره ولما عدل به إلى سواه تأففوا من ذلك (١) الخ.

ويؤيده الدكتور حسن إبراهيم حسن بقوله: ولا غرو فقد اختلف المسلمون إثر وفاة النبي (ص) فيمن يولونه الخلافة وانتهى الأمر بتولية أبي بكر وأدى ذلك إلى انقسام الأمة العربية إلى فريقين: جماعية وشيعية (٢)

---

(١) كامل ابن الأثير: ج ٢ ص ٤١ - ٤٢، تاريخ أبي الفداء: ج ١ ص ١١٦، وتفسير الخازن: ص ٣٩٠، وحياة محمد لهيكل: ص ١٠٤، الطبعة الأولى.

(١) تأريخ ابن خلدون: ج ٣ ص ٣٦٤.

(٢) تاريخ الإسلام: ج ١ ص ٣٧١.

وراح المستشرق (جولد تسهير) يؤيد هذا الرأي: إن التشيع نشأ بعد وفاة النبي (ص) وبالضبط بعد حادثة السقيفة (٣).
وروى الطبري أن الزبير اخترط سيفه وقال: لا أغمده حتى يبايع علي... (٤).
ويميل أحمد أمين المصري إلى قبول هذا الرأي: وكانت البذرة الأولى للشيعة الجماعة الذين رأوا بعد وفاة النبي (ص) أن أهل بيته أولى الناس أن يخلفوه (٥).
وفي (ضحى الإسلام): ذهب إلى أن بداية التشيع كانت عقب وفاة النبي (ص) فقال: قد بدأ التشيع من فرقة عن الصحابة كانوا مخلصين في حبهم لعلي يرونه أحق بالخلافة لصفات رأوها فيه ومن أشهرهم: سلمان الفارسي وأبو ذر الغفاري والمقداد بن الأسود (٦).
كما دعم هذا الرأي كاتب العصر محمد عبد الله عنان: فشيعة علي ظهروا منذ وفاة النبي (ص) (٧).
ويبدو أنه من الضروري تتبع وجهات النظر المختلفة في زمن نشأة التشيع.
وجهة النظر الأولى: وهي تعني أن التشيع قد ظهر بعد وفاة الرسول، لأن أول ما حدث من الاختلاف بين المسلمين بعد نبيهم هو اختلافهم في الإمامة. فالأنصار يرون استحقاقهم للخلافة باعتبارهم أول من أوى رسول الله ونصره، فهم يزعمون أن لهم السابقة في الدين،

---

(٣) العقيدة والشريعة في الإسلام: ص ١٧٤.
(٤) تأريخ الرسل والملوك: ج ٢ ص ٤٤٤.
(٥) فجر الإسلام: ص ٢٦٦.
(٦) ضحى الإسلام: ج ٣ ص ٢٠٩.
(٧) تأريخ الجمعيات السرية والحركات الفكرية: ص ٢٦.

والفضيلة في الإسلام، فرسول الله قد مكث في قومه بضع عشرة سنة فما آمن من قومه إلا قليل، لم يمنعوا رسول الله ولا دافعوا عنه حتى خص الله الأنصار بالفضيلة وساق لهم الكرامة وخصهم بالنعمة ورزقهم الإيمان به حتى استقام الأمر لرسول الله بأسياف الأنصار، حتى توفي رسول الله وهو عنهم راض وبهم موصى، إذ قال فيهم: (لو اتخذت العرب شعبا واتخذ الأنصار شعبا لاتخذت شعب الأنصار)، هذا إلى أن الرسول قد توفي في مدينتهم ودفن بها وترك الدنيا، ومدينة الأنصار عاصمة الإسلام، وقد جسد هذه النظرية سعد بن عبادة (١).

أما المهاجرين فيزعمون أنهم أول الناس إسلاما وأوسط العرب أنسابا ولن تدين قبائل العرب إلا لهذا الحي من قريش، كما كانت تدين به في الجاهية، وهم أول من عبد الله في الأرض وهم أولياء رسول الله وعشيرته، فالأئمة من قريش، وقد عبر عن وجهة النظر هذه أبو بكر بن أبي قحافة.

ولكن بني هاشم الذين يعتبرون أدنى الناس قرابة من رسول الله، فقد صمموا على أن لا يخرج سلطان محمد في العرب من داره ما دام في هذه الدار القارئ لكتاب الله الفقيه في دين الله العالم بسنن رسول الله، وقد مثل هذه النظرية الإمام علي بن أبي طالب (٢).

ويعتقد صاحب كتاب (نظرية الإمامة) أنه عندما ظهرت هذه النظريات الثلاث ظهر التشيع لعلي معبرا عن وجهة نظره، ذلك رأى الباحثين، حيث يقول جولد تسيهر: غير أنه نشأ بين كبار الصحابة منذ بدأت مشكلة الخلافة حزب نقم على الطريقة التي انتخب بها الخلفاء الثلاثة الأوائل وهم: أبو بكر وعمر وعثمان، وقد فضل هذا الحزب

---

(١) نظرية الإمامة: ص ٣٢.

(٢) الإمامة والسياسة: ج ١ ص ١٠.

بسبب هذا الاعتبار أن يختار للخلافة عليا بن أبي طالب (٣).
ويلاحظ محمد حسين الزين العاملي: أن للتشيع بداية ثانية إذ أن لفظ الشيعة قد أهمل بعد أن تمت الخلافة لأبي بكر وصار المسلمون فرقة واحدة إلى أواخر أيام الخليفة الثالث (١).
ويذكر السيد محسن الأمين العاملي: أن التشيع ظهر عند حدوث الاختلاف في أمر الخلافة يوم وفاة النبي (ص) (٢).
ويذكر اليعقوبي: أنه تخلف عن بيعة أبي بكر قوم من المهاجرين وقالوا بأحقية علي بن أبي طالب منهم: العباس بن عبد المطلب، والفضل بن العباس، والزبير بن العوام، وخالد بن سعيد، والمقداد بن عمرو، وسلمان الفارسي، وأبو ذر الغفاري، وعمار بن ياسر، والبراء بن عازب، وأبي بن كعب (٣).
ومن الملاحظ أنه كان لكل من هؤلاء دور يتفق وينسجم مع آراء ومناقب علي في أصول القيادة والهداية، وفلسفته في الحياة الدينية والسلوكية الاجتماعية والسياسية في الإسلام.
لذلك أجمع بعض الباحثين أن هؤلاء كانوا النواة التي زرعت في حديقة التشيع بعد وفاة الرسول (ص) كونهم كانوا أشد تجمعهم جميعا صفة واحدة مشتركة هي الزهد والإيمان العميق، فلم يشاركوا فيما شارك فيه بعض الصحابة من التمتع بنعيم الدنيا وشهواتها.
وإذا وافقنا على اعتبار هؤلاء بداية التشيع ورواده، فلا بد لنا أن نلاحظ الفرق بين الأفكار الشيعية المتأثرة بتيارات فكرية متباينة،

---

(٣) العقيدة والشريعة في الإسلام: ص ١٧٤.
(١) الشيعة في التاريخ: ص ٢٦.
(٢) أعيان الشيعة: ص ٣٤.
(٣) التأريخ: ج ٢ ص ١٠٣.

وبين أفكار هؤلاء المبنية على الزهد والتصوف والقناعة (٤)
ويعلق الدكتور عبد الله الفياض على رواية اليعقوبي فيقول: (٥)
ويصعب القول أن هؤلاء كونوا رأيهم في استحقاق علي (ع) للإمامة بعد وفاة النبي (ص) دون مقدمات، ويبدو أن استمرار طائفة من هؤلاء على ولائهم لعلي (ع) واعترافهم بإمامته يدل على أن قولهم بإمامة علي لم يكن نتيجة لأفكار طارئة خلقتها ظروف بيعة أبي بكر في سقيفة بني ساعدة.

(ج) التشيع أيام مقتل (عثمان).

(٣) أما الرأي الذي يذهب إلى أن التشيع نشأ أيام مقتل الخليفة الأموي (عثمان) فمن أنصاره ابن حزم: فإن الروافض ليسوا من المسلمين أنما هي فرقة حدث أولها بعد موت النبي (ص) بخمس وعشرين سنة (١).

ولكن المستشرق فلها وزن بعد أن يعلن عن قبول رأى ابن النديم يقول: بمقتل عثمان انقسم الإسلام إلى حزبين: حزب علي، وحزب معاوية، والحزب يطلق عليه في العربية اسم الشيعة، فكانت شيعة علي في مقابل شيعة معاوية، لكن لما تولى معاوية الملك في دولة الإسلام كلها... أصبح استعمال لفظ شيعة مقصورا على أتباع علي (٢).

ومن القائلين بأن التشيع كان من نتائج مصرع الخليفة الثالث وبواسطة عبد الله بن سبأ الدكتور علي سامي النشار: لقد دخل بعض

---

(٤) الإمامة وقائم القيامة: ص ٨٤ - ٨٥.
(٥) تأريخ الإمامية: ص ٣٦.
(١) الفصل: ج ٢ ص ٧٨
(٢) الخوارج والشيعة: ص ١٤٦.

أحبار اليهود وكهانهم في الإسلام واخترعوا فكرة الإمام المعصوم وخاتم الأوصياء منتهزين أبعاد علي عن الخلافة وتقدموا إلى العالم الإسلامي بهذه الفكرة، وأضاف إلى ذلك أن كتب القصائد تجمع على أن عبد الله بن سبأ هو أول من دعا إلى فكرة القداسة التي نسبت لعلي (ع) ولم تظهر فكرة الحق الإلهي في الخلافة في عهد أبي بكر وعمر قبل عبد الله بن سبأ الذي يمثل تيارا باطنيا من التيارات التي كانت تعمل على هدم الإسلام (٣).

وهذا الرأي لا يخلو من ضعف كما ذكرنا عن بداية ظهور التشيع.

(د) التشيع يوم الجمل.

(٤) أما الرأي الذي يذهب ويجعل تأريخ ظهور الشيعة يوم الجمل في البصرة فمن أصحابه ابن النديم: لما خالف طلحة والزبير على علي (رض) وأبيا إلا الطلب بدم عثمان، وقصدهما علي (ع) ليقاتلهما حتى يفيئا إلى أمر الله – تسمى من اتبعه على ذلك باسم الشيعة فكان يقول: (شيعتي) وسماهم عليه السلام الأصفياء، والأولياء، شرطة الخميس، الأصحاب (٤).

وقد مرت رواية البرقي التي أشرنا إليها وبهذا نحكم على ضعف رواية ابن النديم لأن البرقي أشار إلى سلمان الفارسي، والمقداد، وأبو ذر من أصحاب علي (ع) وجعلهم من بين الأصفياء.

ومن المعلوم أن سلمان الفارسي وأبا ذر قد توفيا قبل (معركة الجمل).

---

(٣) نشأة الفكر الفلسفي في الإسلام: ص ١٨.

(٤) الفهرست: ص ٢٤٩.

وروى المسعودي أن الإمام عليا أقام ومن معه من شيعته في منزله بعد أن تمت البيعة لأبي بكر. وفيما قدمناه من وجود شيعة لعلي (ع) قبل فتنة الدار ويوم الجمل يبطل هذا الرأي.

(٥) التشيع يوم خروج الخوارج بصفين.

(٥) ومن أشهر القائلين بأن التشيع تكون يوم خروج الخوارج بصفين (وات مونتكومرى): إن بداية حركة الشيعة هو أحد أيام سنة (٦٥٨ م - ٣٧ ه) حين قال جماعة من أتباع علي: إننا نوالي من والاك ونعادي من عاداك ويعني ذلك أن هؤلاء كانوا مستعدين للقول بأنهم يقبلون بصورة مطلقة حكم على القضايا المهمة (١) ويظهر أن (وات) أخذ هذا الرأي عن الطبري: لما قدم على الكوفة وفارقته الخوارج وثبت إليه الشيعة فقالوا: في أعناقنا بيعة ثانية نحن أولياء من واليت، وأعداء من عاديت (٢).

ويبدو أن المستشرق (وات مونتكومرى) من أبرز المتحمسين لهذه النظرية وليس بغريب ذلك لأن الذين يحملون صفة الاستشراق أكثر ما يعنيهم في كتاباتهم التعتيم على الحقائق الإسلامية وتشويشها بكل ما لديهم من الأساليب كما يبدو ذلك للمتتبع في مؤلفاتهم عن الإسلام والمسلمين.

ويدعى الدكتور أحمد صبحي في كتابه (نظرية الإمامة): أن التشيع جاء كرد فعل للخوارج يتضح فيه مدى المقابلة بين العقيدتين

---

(١) london, islam and the integration of society, m. w, watt ,

(٢) تأريخ الرسل والملوك: ج ٤ ص ٤٦.

فبينما جعل الخوارج الإمامة عامة كان لا بد للشيعة من مواجهة ذلك بأن جعلوها في بيت النبي (ص) وذرية علي (ع) بالنص عليه من النبي (ص)، وبينما طائفة من هؤلاء ترى الإمامة غير واجبة ولا يلزم نصب الإمام وإذا بالشيعة يجعلونها واجبة على الله، وهكذا يظهر رد فعل التشيع كعقيدة لآراء الخوارج في الإمامة، ويجب أن نعترف بأن الخوارج كمذهب عقائدي له نظرياته في الإمامة سابق في وجوده على التشيع كعقيدة، وأضاف يقول: ولا يستبعد أن يكون كثير من عقائد الشيعة قد صيغت متأثرة في ذلك بنظرية الخوارج في الإمامة على نحو عكسي لا سيما وأن كارثة انشقاق الخوارج من أكبر ما حل بأنصار علي من كوارث تبعها مصرع علي نفسه على يد واحد منهم، ثم جرأتهم البالغة في تكفير علي (ع) وهو ما لم يذهب إليه ألد أعداء علي كمعاوية، فكان لا بد وأن يقابل ذلك بتقديس علي ورفع مقامه إلى مرتبة وصي النبي وخليفته بالنص الإلهي، وانتهى في تقريب هذه النظرية إلى القول: إن الذين أرجعوا بداية التشيع إلى وفاة الرسول ينظرون إلى من تابعه وناصره: كعمار وسلمان وأبي ذر وغيرهم، والذين أرجعوه إلى زمن خلافته ينظرون إلى من ناصره وأيده في حربي (الجمل) و (صفين)، وكان هو يسمى المناصرين له في هذه المعارك (شيعتي)، كما جاء ذلك عن ابن النديم، واستطرد يقول: إن أنصار علي (ع) على كثرتهم لم تكن تجمعهم عقيدة مشتركة ولا هدف واحد، فلقد كان بعضهم من أشد المخلصين له في جميع مواقفه: كعمار، وابن عباس، وحجر بن عدي الكندي، وغير هؤلاء من العشرات الذين رافقوا أكثر المراحل التي مر بها الرسول بعد هجرته ويقدرهم أكثر المؤرخين بألفين وثمانمائة من صحابته، بينهم سبعة وثمانون بدريا وتسعمائة ممن بايعوه (بيعة الرضوان) تحت الشجرة،

وكانت تحدو إخلاصهم لعلي أسباب أخرى إلى جانب الاعتراف له بخلافة الرسول (ص) وهو الخوف على مصيرهم من الأمويين فيما لو تم الأمر لمعاوية كما يشير إلى ذلك قيس بن سعد الأنصاري في كتابه إلى النعمان بن بشير الذي كان إلى جانب معاوية الذي يقول فيه: لو اجتمع العرب على بيعة معاوية لقاتلهم الأنصار.

ومضى يقول: لقد ناصر الأنصار عليا (ع) لأن وضعهم الطبيعي يفرض أن يكونوا معه وإلى جانبه، ولم يناصروه باعتبارهم شيعة له بقدر ما آزروه بوصفهم من الأنصار ولا يتنافى هذا مع إخلاصهم في نصرته، وحينما صالح الحسن معاوية أصر قيس بن سعد على الاستمرار في الحرب وخير جنده بين الاستمرار معه وبين أن يذهبوا إلى ما ذهب إليه الحسن بن علي (ع)، وهناك فريق آخر من أنصاره وهم طائفة القراء والزهاد وحملة القرآن، وهذه الطائفة لم تكن على المستوى المطلوب، فكانوا يجتهدون في آرائهم ويخالفونه أحيانا ويرون رأي أبي موسى الأشعري ومن كان على شاكلته، وهؤلاء حينما رفعت المصاحف كانوا أول من توقف عن القتال وبالتالي أجبروه على قبول التحكيم واختيار أبي موسى كممثل له في مقابل ابن العاص.

وكان بين أصحابه فريق آخر ممن اشتركوا في غزو المدينة لقتل عثمان، وهؤلاء كان ينقصهم الحماس الديني والعقيدة الفكرية التي تدفعهم إلى الإخلاص في نصرة علي (ع) إذ لم يكن ذلك يهمهم بقدر ما يهمهم أن لا يقتص معاوية منهم ولعل معاوية قد عرف منهم ذلك، ولذا فإنه لم يسع للاقتصاص منهم إذ أعطوه سلما وأعطاهم في مقابله أمانا.

وخلص أنصار هذه النظرية من ذلك كله إلى أن التشيع بالمعنى

المعروف لدى الفقهاء والمتكلمين ومؤرخي الفرق لم يكن في أيام علي (ع) وأن معناه في أيامه هو نفس المعنى اللغوي القديم كما ورد في الآية: (فاستغاثه الذي من شيعته على الذي من عدوه) وفي الآية: (وإن من شيعته لإبراهيم) وهو فيهما يعني الأنصار والأتباع.

ولكنه تطور بعد ذلك ردا على نظرية الخوارج الذين كفروه وجعلوا الإمامة حقا لكل أحد من الناس، فرد عليهم أنصاره وأتباعه فقدسوه ورفعوه إلى مرتبة وصيي النبي وخليفته بالنص الإلهي على حد تعبير أنصار هذا الرأي.

بهذا النحو من التضليل والتلفيق أرادوا أن يصوروا التشيع لعلي (ع) منذ مراحله الأولى وكأنه صدفة فرضته التطورات التي طرأت على سير المعارك في (صفين) بعد الانتصارات الساحقة التي حققها أمير المؤمنين علي (ع)، والتي لولا خيانة بعض القادة الذين يشكلون مع عشائرهم أكثر من نصف الجيش لوقع معاوية أسيرا بيد العراقيين وتم الفتح لعلي (ع).

ومن تتبع أحداث (صفين) ومراحلها وما انتهت إليه يخرج منها بأن المنشقين من جيش العراق بقيادة الأشعث بن قيس، وشبث بن ربعي وغيرهما كانوا على اتصال دائم مع معاوية، وابن العاص قبل أن يتحرك علي (ع) من الكوفة، وخلال مدة الهدنة في الأشهر الحرم كانوا يتصلون بمعاوية وزبانية بشكل غير مباشر، ويخططون لكل الاحتمالات التي منها رفع المصاحف عندما تصبح المعركة لغير صالحهم ولكل ما جرى بعد رفع المصاحف من محاولة الجائه إلى التراجع عن التحكيم واستئناف المعارك بعد أن دب الوهن والتخاذل في صفوف الجيش وانقسم على نفسه.

وقد أدرك أمير المؤمنين (ع) كل ذلك وتجسدت لديه نتائج المعركة بكل فصولها إن هو استجاب لطلبهم، فآثر أن يصبر على مرارة ما جرى ويرجع بمن معه إلى العراق تاركا (صفين) وأحداثها للأجيال تستلهم من مواقف علي (ع) فيها كل معاني الخير والفضيلة والنبل والكرامة والتضحية في سبيل الله وخير الإنسانية، كما تستلهم من مواقف معاوية وحزبه فيها كل معاني الشر والرذيلة والخداع والحقد على الإسلام ودعاته المخلصين.

ولم تكن أحداث (حروراء) وما كان يجري بعدها من تحركات المنشقين عن علي (ع) بين الحين والآخر: كالخريت ومن على شاكلته إلا من فصول تلك الحلقة التي سبكها بين معاوية وحزبه من جهة، وبين الأشعث بن قيس وبقية الخونة في العراق من جهة أخرى، حتى لا يبقى لعلي (ع) من الوقت ما يتسع لمقابلة معاوية ومقاومته بواسطة أنصار معاوية في الكوفة: كالأشعث بن قيس، وشبث بن ربعي، وغيرهما ممن أغراهم معاوية بالمال والوعود إذا تم له الأمر واستولى على العراق، ولعل ذلك كان معروفا بين أكثر أهل الكوفة يومذاك.

ولم تكن طلبات المنشقين على أمير المؤمنين (ع) كالتوبة والاعتراف بالجرم وغيرهما من الطلبات إن صح ذلك إلا لتغطية المؤامرة التي تمت صياغتها بكل فصولها ومراحلها قبل معركة (صفين) كما لم تكن لطلباتهم المزعومة ذلك الصدى والأثر حتى عند من لا يؤمن بقداسة علي (ع) ليضطر أنصاره إلى تغطية ذلك بدعوى الوصاية والعصمة وغيرهما من الأفكار الشيعية كما يدعي أنصار هذا الرأي.

لقد ترك هؤلاء وراءهم أقوال الرسول (ص): (بأن عليا مع الحق والحق مع علي) التي كررها الرسول (ص) وأكدها في عشرات المناسبات والتي لا ينكرها أحد من المسلمين على اختلاف نزعاتهم وميولهم والتي تعني فيما تعنيه عصمته من الخطأ والذنوب، كما تركوا كل ما قاله الرسول (ص) فيه في بدر، وأحد، والأحزاب وفي غزوة تبوك، وفي (غدير خم)، وما قال فيه وهو على فراش الموت، وقبل ذلك منذ بعثه الله وحتى النفس الأخير من حياته مما لا ينكره أحد من المسلمين.

لقد تركوا كل ذلك وراءهم وكأن التاريخ لم يسجل له شيئا، وتجاهلوا مع ذلك مواقف من وقف إلى جانبه بعد وفاة الرسول (ص) من أعيان المهاجرين والأنصار وحججهم البالغة على الذين تكتلوا لإقصائه عن الخلافة، ولم يجدوا لفكرتي الوصاية والعصمة سببا غير تجريح الأشعث بن قيس وابن العاص ومن كان على رأيهما ممن أسموهم بالخوارج والمارقين.

(و) التشيع بعد مقتل الحسين (ع)

(٦) ويطالعنا رأي آخر مفاده أن مذهب التشيع قد ظهر بعد مقتل الحسين (ع): إن دم الحسين الذي أراقته سيوف الحكومة القائمة يومذاك يعتبر البذرة الأولى للتشيع كعقيدة (١).

يقول الدكتور كامل مصطفى الشيبي: إن استقلال الاصطلاح الدال على التشيع إنما كان بعد مقتل الحسين (ع) حيث أصبح التشيع كيانا مميزا له طابعه الخاص (٢).

---

(١) ستر وثمان - دائرة المعارف الإسلامية.

(٢) الصلة بين التصوف والتشيع: ص ٢٣.

في حين يذهب الدكتور عبد العزيز الدوري: إلى أن التشيع تميز سياسيا ابتداء من مقتل أمير المؤمنين علي (ع) ويتضمن ذلك فترة قتل الحسين (ع) حيث يعتبرها امتدادا للفترة السابقة (٣).

وقال الدكتور علي الخرطويل في كتابه (تأريخ العراق في ظل العهد الأموي): لقد اختمرت العقيدة الشيعية بعد مقتل الحسين (ع) في النفوس وكانت دماؤه أبعد أثرا من دماء أبيه علي (ع) من حيث نمو الحركة الشيعية وازدياد أنصارها، بل يمكننا أن نقول: إن الحركة الشيعية بدأ ظهورها في العاشر من المحرم وبعده صبغت مبادئ الشيعة بصبغة دينية، كما اتجه الشيعة بعد مقتله اتجاها دينيا وتغلب الجانب الديني للتشيع على الجانب السياسي إلى غير ذلك مما نسب لهذا الفريق من المحاولات التي أتى بها لتقريب نظريته هذه.

ونحن لا ننكر على أصحاب هذا الرأي أن دماء الحسين (ع) أحدثت في الكوفة وفي العالم الإسلامي هزة عنيفة لا سيما لدي المخلصين ممن دعوا إليها وتعهدوا بنصرته: كسليمان بن صرد وأمثاله، وعبأت الشيعة على الظلم والظالمين متخذين من مصرع الحسين (ع) مثلا أعلى في الصبر على البلاء والاستشهاد وبالرغم مما أحيط بهم من اضطهاد فكري وسياسي بلغا أقصى الحدود في العصرين الأموي والعباسي فإن دماءه الزكية أقضت مضاجع الظالمين والحاكمين وكانت ولا تزال المثل الأعلى لكل ثائر ومناضل في سبيل حرية الإنسان وكرامته.

كما وأنا لا ننكر عليهم أن عقائد الشيعة قد تبلورت واتخذت صورتها النهائية بعد مصرع الحسين وفي عهد الإمامين الباقر

---

(٣) مقدمة في تاريخ صدر الإسلام: ص ٧٢

والصادق (عليهما السلام) بالذات بعد أن اشتد الصراع العقائدي وتخطى الإمامة إلى بعض الأصول الإسلامية بين القدرية والمعتزلة والمرجئة والخوارج وحتى بين المحدثين من السنة والشيعة وكانت النوادي مسرحا لهذه الصراعات وبلغ علم الكلام أوج ازدهاره لدى الشيعة والفرق الأخرى التي ظهرت طلائعها في أواخر القرن الأول ونشطت في العصر العباسي بعض النزاعات والاتجاهات التي تحولت بعد ذلك إلى مذاهب تجر من ورائها الالحاد والزندقة في مختلف البلاد.

وكان النزاع في الإمامة وشروطها والعصمة ومعناها والصفات من أبرز ما يجري بين أصحاب الأئمة وغيرهم من المحدثين والفرق الأخرى، وكانت مدرسة الإمام الصادق (ع) من أبرز الجامعات في ذلك العصر من حيث إحاطتها بجميع العلوم الإسلامية وغيرها.

ففي هذا الدور قد تبلورت أصول التشيع ومبادئه واستقرت على ما هي عليه طوال تلك القرون بما لها من المفهوم الإسلامي الذي يتفق مع الكتاب والسنة بما في ذلك موضوع الإمامة وما يتصل به.

أما الأفكار الأخرى التي يعدها الكتاب من أصول التشيع:

كالتقية والبداء وحتى الرجعة فقد وردت في كلمات الأئمة وأحاديثهم ولكن لا على أساس أنها من أصول التشيع ومن المعتقدات التي لا يتم التشيع بدونها.

ومجمل القول: إنا لا ننكر أن لتلك الدماء الزكية دورا بارزا في نمو التشيع وبقائه وأنه تبلور وتميز عن غيره بأصوله ومفهومه الذي تكشف بعد مقتل الحسين (ع)، ولكن الذي ننكره على هؤلاء إصرارهم على أنه قد حدث بعد مقتله وقبله لم تكن كلمة (التشيع) تعني المفهوم الذي ظهر لها بعد ذلك وأنه انفصل عن الإسلام السني

انفصالا تاما في الآراء والمعتقدات.
ونصر على أنه قد رافق الإسلام منذ مراحله الأولى بمقتضى نصوص الرسول (ص) ومواقفه العديدة كما سنثبت ذلك خلال حديثنا. الآتي عن أدلة وجود التشيع أيام النبي (ص).
(ز) التشيع نزعة فارسية.
(٧) واجتهد البعض بأن عقيدة التشيع نزعة فارسية وقد أبطل هذا الرأي المستشرق (جولد تسهير): إن من الخطأ القول بأن التشيع في منشئه، ومراحل نموه يمثل الأثر التعديلي الذي أحدثته أفكار الأمم الإيرانية في الإسلام، وبعد أن اعتنقته، أو خضعت لسلطانه عن طريق الفتح والدعاية، وهذا الوهم الشائع مبني على سوء فهم الحوادث التأريخية. فالحركة العلوية نشأت في أرض عربية بحتة (١).
ولنقرأ رأى (آدم متز): إن مذهب الشيعة ليس كما يعتقد البعض رد فعل من جانب الروح الإيرانية، يخالف الإسلام. فقد كانت جزيرة العرب شيعة كلها عدا المدن الكبرى، مثل: مكة وتهامة وصنعاء، وكان للشيعة غلبة في بعض المدن أيضا، مثل عمان وهجر وصعدة. أما إيران فكانت كلها سنة ما عدا (قم) وكان أهل (أصفهان) يغالون في (معاوية) حتى اعتقد بعض أهلها أنه نبي مرسل، كما نقل المقدسي (٢).
وهذا المستشرق (كيب) يقول: إن الفكرة الخاطئة والتي لا زالت منتشرة التي تقول بأن بلاد فارس كانت الموطن الأصلي للتشيع لا أصل لها بل الروايات التأريخية تثبت بأن الزرادشتين كانوا أميل

---

(١) العقيدة والشريعة في الإسلام: ص ٢٠٤.
(٢) الحضارة الإسلامية: ج ١ ص ١٠٢.

عموما لاعتناق المذهب السني (٣).
وأحسن ما رد هذا الاتهام وناقشه هو الشيخ محمد حسين المظفر:
كان للإمام علي (ع) ثلاث حروب: الجمل وصفين والنهروان. وكان جيشه كله عربا أقحاحا بين عدنانية وقحطانية. أكانت قريش من الفرس أم الأوس والخزرج، أم مذحج، أم همدان، أم طي، أم كندة، أم تميم، أم مضر، أم أشباههما من القبائل؟
وهل كان زعماء جيشه غير رؤوساء هذه القبائل؟ أكان عمار فارسيا، أم هاشم المرقال، أم مالك الأشتر، أم صعصعة بن صوحان، أم أخوه زيد، أم قيس بن سعد، أم ابن عباس، أم محمد بن أبي بكر، أم حجر بن عدي، أم عدي بن حاتم، وأمثال هؤلاء من القواد؟ (٤).
والغريب أن يكون بعض فرسان هذه الحملة من الفرس أنفسهم أرادوا أن يظهروا أنفسهم بأنهم أحرص على العروبة من العرب أنفسهم - ورحم الله من يقول:
رفقا بنسبة عمرو حين تنسبه
فإنه عربي من قوارير
ويشارك المستشرق (نولدكه) في هذه المعمعة: ظلت بلاد فارس في أجزاء كبيرة منها تدين بالمذهب السني واستمر ذلك حتى سنة (١٥٠٠ م) عندما أعلن التشيع مذهبا رسميا فيها بقيام الدولة الصفوية (١).

---

(٣) دراسات في الفرق والعقائد: ص ٢٦.
(٤) تأريخ الشيعة: ص ٨.
(١) دراسات في الفرق والعقائد: ص ٣٢٦.

وقد ذكر لنا المؤرخون أن فترة حكم زياد بن أبيه للكوفة كانت في جملة تخطيطاته للقضاء على التشيع بالكوفة أن هجر خمسين ألف من الشيعة وسفرهم إلى خراسان. ولا بد أن هؤلاء توالدوا كما أنهم بشروا بأفكارهم وعقائدهم فتبعهم على ذلك جماعة كما أن مدينة (قم) تم تمصيرها أيام الحجاج، وذلك أن عبد الرحمن بن الأشعث كان أمير سجستان من قبل الحجاج ثم خرج على الحجاج وقاتله وعندما فشلت حركته كان بجيشه مجموعة من علماء التابعين منهم: عبد الله، والأحوص، وعبد الرحمن، وإسحاق، ونعيم، وهم بنو سعد بن مالك الأشعري فنزل هؤلاء على سبعة قرى في منطقة (قم) استولوا عليها وجعلوها سبع محلات لمدينة (قم) والتحق بعبد الله بن سعد ولد له كان إماميا تربى بالكوفة فنقل التشيع لأهلها فليس بها سني قط (٢).

هذه هي بذرة التشيع في إيران حتى مطلع القرن العاشر حتى كان أيام الصفويين تحولت مناطق كثيرة للتشيع، أما القرون السالفة ابتداء بالفتح الإسلامي وحتى مطلع القرن العاشر فكانت إيران على ما تبدو من أقوال مؤرخي السنة في جملتها سنية المذهب، وقد حكى عن انتشار مذهب مالك.

وأما خراسان وما وراء العراق من بلاد المشرق فدخلها هذا المذهب أولا بيحيى التميمي، وعبد الله بن المبارك، وقتيبة بن سعيد فكان له هناك أئمة على مر الأزمان، وتفشى بقزوين وما والاها من بلاد الجبل، وكان آخر من درس منه بنيسابور أبو إسحاق بن القطان وغلب على تلك البلاد مذهبا أبي حنيفة والشافعي (١)

وتذهب جملة من المصادر المعتبرة إلى أن أئمة المذاهب

---

(٢) معجم البلدان: ج ٤ ص ٣٩٧.

(١) ترتيب المدارك: ج ١ ص ٥٣.

الأربعة السنية هم من الفرس فالإمام أبو حنيفة النعمان بن ثابت بن زوطي وهو مولى لبني تيم الله ومولده بالكوفة (٢) يضاف إلى ذلك أنه لم يكن عارفا بالعربية. وأما الإمام أحمد بن حنبل المروزي الخراساني فقد كان بعيد المولد عن مهبط الوحي وبلاد الإسلام وذهب كل من ابن عبد البر صاحب (الإستيعاب) في كتابه (الانتقاء)، والواقدي محمد بن إسحاق، والسيوطي في (تزيين الممالك) من أن الإمام مالك بن أنس ليس عربيا وأنه من موالي بني تيم (٣)، وأما الإمام الشافعي فهو من موالي قريش وقد ذكر كل من الرازي في كتابه (مناقب الشافعي) وأبو زهرة في كتابه المعروف (الإمام الشافعي) (٤).

وقد نص ابن خلكان (٥) والشيخ عباس القمي (٦) ورضا كحالة (٧) على أن أصحاب الصحاح (البخاري والترمذي وابن ماجة والنسائي والسجستاني) أعاجم.

كما أن معظم رواة الأحكام والأخبار، ومعظم المفسرين والفقهاء هم من الفرس، ومنهم على سبيل المثال: مجاهد، وعطاء بن أبي رباح، وعكرمة، ومجاهد وعكرمة ممن يعتمد عليه البخاري ويوثقه ويأخذ بمروياته جملة وتفصيلا (٨).

إن الفكر السني بكل أبعاده مدين للفرس ومصبوغ بالفارسية وحتى

---

(٢) مناقب أبي حنيفة: ج ١ ص ١٦.
(٣) الإمام الصادق: ج ٢ ص ٢٠٠.
(٤) نفس المصدر: ج ٣ ص ٢٢٠.
(٥) وفيات الأعيان: ج ١ ص ٢١.
(٦) الكنى والألقاب: ج ٣ ص ٢٠٧.
(٧) معجم المؤلفين: ج ١٢ ص ١١٥.
(٨) نفس المصدر: ج ١ ص ٥٩.

محمد بن عبد الوهاب – مؤسس المذهب (الوهابي) – تربى ونشأ وتثقف على أيدي الفرس وكانت تربيته وثقافته بين كردستان وهمدان، وأصفهان وقم كما نص على ذلك جماعة (١).

وحيث أن الشيعة تشترط العربية في العبادات والعقود يكون هذا مؤشرا على عروبة التشيع ووضوح انتمائه للعربية شكلا ومضمونا.

وأما أئمة الشيعة الاثني عشر الذين تعتبرهم الشيعة بأنهم الامتداد الطبيعي للنبوة هم سادة العرب، وأما الرواد الأوائل من حملة علوم أهل البيت وبيوتات وأسر الشيعة الذين حملوا التشيع وبشروا به فإنهم من صميم العرب وذلك ابتداء من أقطاب مدرسة الإمام الصادق (ع) مثل: أبان بن تغلب بن رباح الكندي، وبيت آل أعين، وبيت آل حيان التغلبي، وآل عطية، وبني دراج وغيرهم (٢).

ثم الطبقة التي تلي هؤلاء: كالشيخ محمد بن النعمان، والشريف المرتضى علم الهدى علي بن أبي الحسين، والعلامة الحلي جمال الدين الحسن بن يوسف بن المطهر، وعبد العزيز بن نحرير البراج، وجمال الدين أحمد بن موسى بن طاووس، وأسرة آل طاووس، ومحمد بن أحمد بن إدريس العجلي، ونجم الدين جعفر بن الحسن الهذلي المعروف بالمحقق، وجمال الدين المقداد بن عبد الله السيوري، والشهيد الأول محمد بن مكي، والشهيد الثاني زين الدين العاملي وغيرهم فإن كل هؤلاء من صميم العرب.

أما أصحاب (الصحاح) الشيعة وهم كل من: الكليني صاحب (الكافي)، وابن بابويه القمي صاحب (من لا يحضره الفقيه) والشيخ الطوسي صاحب كتابي (التهذيب) و (والاستبصار) فلا يوجد نص على عدم عروبتهم.

---

(١) زعماء الاصلاح لأحمد أمين: ص ١٠.

(٢) طبقات ابن سعد: ج ٣ تراجم من سكن الكوفة.

(ح) التشيع بدعة عبد الله بن سبأ

(٨) ويرى فريق آخر أن التشيع لعلي (ع) من بدعة عبد الله بن سبأ المعروف بابن السوداء. فأبو الحسين الملطي يجعل السبأية المزعومة أساسا للتشيع، وأن زعيم هذه الفرقة عبد الله بن سبأ هو الذي بذر بذرة التشيع الأولى في الإسلام، باعتباره يمت إلى اليهودية في الأصل، لذلك هدف من وراء بذر هذه البذرة إلى تقويض دعائم الإسلام وتفرقة صفوفه (١).

أما الدكتور علي سامي النشار فيقول: كان اليهود مؤسسي العقيدة الشيعية الغالية الحقيقيين فقد دخل بعض أحبارهم أو كهانهم في الإسلام، وتقدموا إلى العالم الإسلامي منتهزين إبعاد علي عن الخلافة بفكرة الإمام المعصوم أو خاتم الأوصياء، وتكاد تجمع كتب العقائد الإسلامية على أن عبد الله بن سبأ – وهو أول من دعا إلى فكرة القداسة التي نسبت إلى علي – كان يهوديا قبل الإسلام (٢).

ويضيف النشار في مكان آخر قائلا: من المؤكد أن هذه الفكرة – الاعتقاد بأن عليا هو صاحب الحق الأول في الخلافة – لم تظهر على عهد أبي بكر وعمر، ولكنها نشأت في خلافة عثمان على يد عبد الله بن سبأ، ويمثل عبد الله بن سبأ، تيارا باطنيا من التيارات التي كانت تعمل على هدم العالم الإسلامي.

ومهما كان الحال فليس بغريب على النشار إذا ما وقف هذا الموقف بعد أن وقفه الشيخ محمد أبو زهرة في كتابه (المذاهب الإسلامية) الذي جاء فيه: وكان الطاغوت الأكبر عبد الله بن سبأ قد دعا إلى ولاية علي ووصايته ورجعة النبي وفي ظل هذه الفتن نشأ

---

(١) التنبيه والرد على أهل الأهواء والبدع: ص ٢٥.

(٢) نشأة الفكر الفلسفي في الإسلام: ص ١٨.

المذهب الشيعي (١).
والذين أخذ عنهم النشار من كتاب الفرق المتحيزين الذين أخرجوا فرق الشيعة برمتها عن الإسلام وكفروا معتنقيها وبعضهم من السلفيين الذين يقفون مع التشيع على طرفي نقيض أمثال: ابن تيمية، وعبد الله بن القصيمي في كتابه (الصراع بين الإسلام والوثنية) الذي ينص فيه على أن ابن سبأ أساس المذهب الشيعي والحجر الأول في بنائه.
ويرجع محمد محي الدين عبد الحميد في تعليقه على كتاب (مقالات الإسلاميين) منشأ التشيع إلى ابن سبأ فيقول: وعن هذه الآراء الفاسدة التي نفث سمومها عبد الله بن سبأ تفرعت آراء كثير من الفرق، فمن تعاليمه تشعبت أقوال الغلاة من الشيعة، أفليس كثير منهم يذهبون إلى أن الإمامة موقوفة على قوم بأعيانهم كقول الإمامية (٢).
وقد أنكر هذا الرأي محمد كرد علي بقوله: أما ذهب إليه بعض الكتاب من أن مذهب التشيع من بدعة عبد الله بن سبأ المعروف - بابن السوداء - فهو وهم وقلة علم بتحقيق مذهبهم، ومن علم منزلة هذا الرجل عند الشيعة وبراءتهم منه ومن أقواله وأعماله، وكلام علمائهم في الطعن فيه بلا خلاف بينهم في ذلك علم مبلغ هذا القول من الصواب (٣).
يقول الشيخ محمد جواد مغنية (رحمه الله) أحد كبار الكتاب

---

(١) المذاهب الإسلامية: ص ٤٦.
(٢) نظرية الإمامة: ص ٣٦.
(٣) خطط الشام: ج ٦ ص ٢٥١.

المعاصرين وأكثر علماء الشيعة إنتاجا في العصر الحاضر – مع غزارة مادة، وسلاسة أسلوب، وكثرة نفع التأليف: كل شئ تطور إلا الكتابة عن الشيعة، ولكل بداية نهاية إلا الافتراء على الشيعة، ولكل حكم مصدره ودليله إلا الأحكام على الشيعة!... ولماذا؟ هل الشيعة فوضويون ومشاغبون يعكرون صفو الناس وأمنهم؟!.

الجواب: أن رجلا يسمى سيف بن عمر التميمي مات في القرن الثاني الهجري، وضع كتابين: الأول (الفتوح والردة) والثاني (الجمل ومسير عائشة وعلي) وحشاهما بما يلي:

١ – اختلاف الحوادث التي لا حقيقة لها ولا أساس.

٢ – تحريف الحوادث الثابتة، وتزييفها تزييفا يجعل الايجاب سلبا والسلب إيجابا.

فلقد اختلق سيف لرسول الله (ص) أصحابا لا وجود لهم، وأسماهم بأسماء لم يسمع بها الرسول ولا أحد من الصحابة، مثل سعير، والهزهاز، واط، وحميضة، وما إلى ذلك.

كما ابتدع رجالا من التابعين وغير التابعين، ووضع على لسانهم الأخبار والأحاديث...

من هؤلاء بطل اختلق شخصيته، واختلق اسمه، واختلق قضايا ربطها به، هذا البطل الأسطوري هو (عبد الله بن سبأ) الذي اعتمد عليه كل من نسب إلى الشيعة ما ليس لهم به علم، وتكلم عنهم جهلا وخطأ، ونفاقا وافتراء.

وجاء المؤرخون بعد سيف الوضاع، فرأوا الكتابين المذكورين بين مصادر التاريخ، فنهلوا منهما دون فحص وتمحيص، ونقلوا عنهما بأعينهم وأيديهم وعقولهم، وأول من خدع بسيف الطبري، ثم نقل عن الطبري ابن الأثير، وابن عساكر، وابن كثير وغيرهم.

وبهذا امتدت أغصان سيف الكذاب إلى مصادر التاريخ بصورة غير مباشرة، أما الجذر والأصل فواحد كتاب (الفتوح) و (الجمل).
وكل من كتب عن عبد الله بن سبأ فهو عيال على الطبري وعنه أخذ واليه استند (١).
نجد من المتأخرين السيد محمد رشيد رضا، ينقل هذه القصة، ويقول: كان التشيع للخليفة الرابع علي بن أبي طالب – رضي الله عنه – مبدأ تفرق هذه الأمة المحمدية في دينها وفي سياستها. وكان مبتدع أصوله يهودي اسمه (عبد الله بن سبأ) أظهر الإسلام خداعا ودعا إلى الغلو في علي – كرم الله وجهه – لأجل تفريق هذه الأمة وإفساد دينها ودنياها عليها. (٢)
ثم يسرد السيد رشيد هذه القصة إلى ص (٦) من (كتابه) ويعلق عليها بما يهوى فإذا فحصت عن مستنده فيما يزعم وجدته يقول بعد ذلك: ومن راجع أخبار (واقعة الجمل) في (تأريخ ابن الأثير) مثلا يرى مبلغ تأثير إفساد السبئيين لذات البين دون ما كاد يقع من الصلح.
راجع ص ٩٥ و ٩٦ و X ٣ ١ من الجزء الثالث (٣) الخ...
ويضيف العلامة المحقق السيد مرتضى العسكري أن السيد رشيد قد نص في (كتابه) على أن المصدر الذي اعتمد عليه هو (التأريخ الكامل) لابن الأثير وعين صفحات الكتاب تسهيلا للباحث.
كما أن أبا الفداء المتوفى سنة (٧٣٢ ه) أورد في كتابه (المختصر في أخبار البشر) نبذا من ذيول هذه القصة مع قصص أخرى غير صحيحة. وصرح في ديباجة كتابه عند ذكره لمصادر

---

(١) الغدير: ج ٩ ص ٢١٨.
(٢) السنة والشيعة: ص ٤ – ٦.
(٣) عبد الله بن سبأ.

تأليفه: فاخترته من (الكامل) تأليف الشيخ عز الدين علي المعروف بابن الأثير الجزري الخ...
ويستطرد العلامة العسكري قوله: وإذا راجعنا (تاريخ) ابن الأثير هذا المتوفى سنة (X ٦٣ ه) نجده يورد هذه القصة كاملة في حوادث سنة (X ٣ - ٣٦ ه)، ولا يشير إلى المصدر الذي اعتمد عليه في نقل هذه القصة غير أنه يقول في مقدمة كتابه: إني قد جمعت في كتابي هذا ما لم يجتمع في كتاب واحد. ومن تأمله علم صحة ذلك.
فابتدأت (بالتاريخ الكبير) الذي صنفه الإمام أبو جعفر الطبري إذ هو الكتاب المعول عند الكافة عليه، والمرجوع عند الاختلاف إليه، فأخذت ما فيه من جميع تراجمه لم أخل بترجمة واحدة منها. وقد ذكر هو في أكثر الحوادث روايات ذات عدد، عدد كل وراية منها مثل التي قبلها أو أقل منها. وربما زاد الشئ اليسير أو نقصه، فقصدت أتم الروايات فنقلتها، وأضفت إليها من غير ما ليس فيها وأودعت كل شئ مكانه، فجاء جميع ما في تلك الحادثة على اختلاف طرقها سياقا واحدا على ما تراه. فلما فرغت منه أخذت غيره من التواريخ المشهورة فطالعته وأضفت إلى ما نقلته من (تاريخ الطبري) ما ليس فيه، ووضعت كل شئ منها موضعه إلا ما يتعلق بما جرى بين أصحاب رسول الله (ص)، فإني لم أضف إلى ما نقله أبو جعفر شيئا إلا ما فيه زيادة بيان، أو اسم إنسان، أو ما لا يطعن علي أحد منهم في نقله. وإنما اعتمدت عليه من المؤرخين إذ هو الإمام المتقين حقا الجامع علما وصحة اعتقاد وصدقا. على أني لم أنقل إلا من التواريخ المذكورة والكتب المشهورة ممن يعلم صدقهم فيما نقلوه وصحة ما دونوه الخ...

إذن فابن الأثير الذي ينقل عنه كل من: أبي الفداء، والسيد رشيد اعتمد على (تاريخ الطبري) في نقل هذه القصة، ولما كانت القصة موضوعة لبيان الحوادث التي وقعت بين الصحابة لم يزد (ابن الأثير) على رواية (الطبري) شيئا. وكذلك فعل - ابن كثير المتوفى سنة (٧٧٤ ه) فإنه قد أورد هذه القصة من (تأريخه) وقال: وذكر سيف بن عمر أن سبب الأحزاب على عثمان أن رجلا يقال له: - عبد الله بن سبأ - كان يهوديا فأظهر الإسلام وصار إلى مصر فأوحى إلى طائفة من الناس كلاما اخترعه من عند نفسه (١) ثم ينقل القصة بحذافيرها.

حتى إذا انتهى من سرد (واقعة الجمل) قال: هذا ملخص ما ذكره أبو جعفر بن جرير رحمه الله - انتهى.

واستعرض الدكتور طه حسين الصورة التي رسمت لابن سبأ ومزقها بعد تحليل دقيق وانتهى إلى أن ابن سبأ شخصية وهمية خلقها خصوم الشيعة ودعم رأيه بالأمور التالية:

١ - إن كل المؤرخين الثقاة لم يشيروا إلى قصة عبد الله بن سبأ ولم يذكروا عنها شيئا.

٢ - إن المصدر الوحيد عنه سيف بن عمر وهو رجل معلوم الكذب، ومقطوع بأنه وضاع.

٣ - إن الأمور التي أسندت إلى عبد الله بن سبأ تستلزم معجزات خارقة لفرد عادي كما تستلزم أن يكون المسلمون الذين خدعهم عبد الله بن سبأ وسخرهم لمآربه وهم ينفذون أهدافه بدون اعتراض: في منتهى البلاهة والسخف.

---

(١) البداية والنهاية: ج ٧ ص ١٦٧.

٤ – عدم وجود تفسير مقنع لسكوت عثمان وعماله عنه مع ضربه لغيره من المعارضين: كمحمد بن أبي حذيفة، ومحمد بن أبي بكر، وعمار وغيرهم.
٥ – قصة الاحراق وتعيين السنة التي عرض فيها ابن سبأ للإحراق تخلو منها كتب التاريخ الصحيح ولا يوجد لها في هذه الكتب أثر.
٦ – عدم وجود أثر لابن سبأ وجماعته في واقعة (صفين) وفي حرب (النهروان).

وقد انتهى طه حسين إلى القول: أن ابن سبأ شخص أدخره خصوم الشيعة للشيعة وحدهم، ولم يدخروه للخوارج، لأن الخوارج لم يكونوا من الجماعة، ولم يكن لهم مطمع في الخلافة ولا في الملك (١).

ويرى الدكتور أحمد محمود صبحي في كتابه (نظرية الإمامة) (٢): إن مبالغة المؤرخين وكتاب الفرق الإسلامية العقائدية في الدور الذي قام به ابن سبأ يرجع إلى أن الأحداث السياسية التي حدثت في الإسلام: كمقتل عثمان، وحرب الجمل الذي شارك فيه كبار الصحابة وزوجة الرسول، هذه الأحداث الجسام التي اشترك فيها أجلاء الصحابة الذين حاربوا مع الرسول (ص) وشاركوا في وضع أسس الإسلام، فكان لا بد وأن يضعوا مسؤولية هذه الأحداث الجسام على كاهل من يجوز عليه ذلك، ومن غير المعقول أن يضعوا وزر ذلك كله على صحابة أجلاء وقفوا في أشد الأزمات، إلى جانب رسول الله وأبلوا معه بلاء حسنا، فوضعوها على كاهل ابن سبأ ونسبوا إليه مع ذلك أنه أول من نادى بفكرة الوصاية التي أحدثت ظهور التشيع.

ومعنى ذلك كما يبدو مما نسبه الدكتور صبحي لكتاب الفرق

---

(١) علي وبنوه: ص ٩٨ – ١٠٠، فصل (ابن سبأ).
(٢) نظرية الإمامة: ص ٣٩ – ٤٠

وأصحاب المذاهب إن الذي اضطرهم إلى الصاق ما حدث بعبد الله بن سبأ وافتراض وجوده، هو تنزيه الصحابة من الإقدام على تلك الجرائم من غير أن تضطرهم مصلحة الإسلام إلى ذلك، أما وقد اشتركوا فيها فلا بد أن يكون اشتراكهم لدرء الأخطار الناجمة عن تدخل ذلك اليهودي في أمور المسلمين وعليه وحده تكون مسؤولية جميع ما حدث.

وهذا التبرير لاشتراك الصحابة في تلك الفتن والمعارك أغرب وأفظع مما نسب إلى السبئية لأن المؤرخين وكتاب الفرق والسلفيين من المحدثين بعد اعترافهم بفظاعة ما أحدثه الصحابة في تلك الفترة قد افترضوا شخصية قامت بدور خاص تتحمل مسؤولية كل ما حدث مما اضطر الصحابة لتلك المواقف التي لا تليق بهم بعد جهادهم الطويل ومواقفهم مع رسول الله، ولا بد وأن تكون تلك الشخصية هي ذلك اليهودي الدخيل عبد الله بن سبأ وبالتالي ليقع عليه عب ء أكبر انشقاق عقائدي بظهور مذهب الشيعة بالإضافة إلى مواقفه السياسية الأخرى.

بهذا المنطق الغريب يفترض كتاب الفرق وأصحاب المذاهب لا سيما السلفيين وبعض المؤرخين على حد تعبير الدكتور أحمد صبحي وجود السبئية التي أحدثت ذلك التحول في تاريخ الإسلام ويحملون الشيعة أوزار كل ما حدث.

وعلى أساس هذه التلفيقات والافتراضات لا يزال أكثر الكتاب وحتى الدكاترة منهم يقولون: إن التشيع مأوى لكل من يريد هدم الإسلام ويحملون الشيعة مسؤولية أولئك الذين هم أبعد الفرق عن التشيع.

ويشترك مع طه حسين كثير من المستشرقين في وهمية وجود

عبد الله بن سبأ ومنهم: (برنارد لويس) الذي يضرب بهذه الأفكار القائلة: بأن عبد الله بن سبأ هو الذي بذر بذور التشيع في الإسلام عرض الحائط، ويتهم الذين يذهبون هذا المذهب بأنهم ينادون بآراء غريبة، لا تمت إلى الحقيقة والواقع بأية صلة، فالأفكار الشيعية العرفانية التي أثرت في المنطلقات العقلانية العالمية لا يمكن أن تكون صادرة عن شخصية خرافية أسطورية كابن سبأ لذلك يتشكك في وجوده فكريا، وينفي نفيا قاطعا أن يكون له أي أثر في التطور العقائدي للإسلام.

ويقول: ولكن التحقيق الحديث قد أظهر أن هذا استباق للحوادث وأنه صورة مثل بها في الماضي وتخيلها محدثو القرن الثاني للهجرة من أحوالهم وأفكارهم السائدة حينئذ، وقد أظهر (فلها وزن) و (وفريد ليندر) بعد دراسة المصادر دراسة نقدية بأن المؤامرة والدعوة المنسوبتين إلى ابن سبأ من اختلاق المتأخرين (١).

ونحن وإن كنا نعلم تمام العلم بأن (برناردلويس) من أصل يهودي لا يتورع عن توسيع شقة الخلاف بين الفرق الإسلامية إذا كان في هذا التوسيع مصلحة لليهودية العالمية، فإننا نستهجن كل الآراء التي وردت ونشرت، والزاعمة بأن ابن سبأ هو الذي بذر بذور الشيعة في العالم الإسلامي، لأن هذا الزعم خرافي وأسطوري قصد منه إبعاد الناس عن الشيعة بعد أن غرقوا في طوفانها.

واليهود كما هو معروف كانوا بكثرة في الحجاز، وخاصة في يثرب، قبل ظهور الإسلام، وكان لهم قوة اجتماعية، واقتصادية، وزاعية، واندماج وثيق بالحياة العربية، حيث توطدت بين العرب

---

(١) نفس المصدر: ص ٣٧.

واليهود صلة النسب والقربى، عن طريق الزواج والمصاهرة، حتى أن النبي (ص) تزوج من صفية اليهودية من خيبر، لذلك أشك بأن عبد الله بن سبأ لو اعترفنا بوجوده كانسان حقيقي قد حمل الأفكار اليهودية إلى الإسلام، فإذا كان الأصل يهوديا قبل الإسلام، أو لم يكن، فهذا شئ طبيعي لأن جميع مع اعتنقوا الإسلام كانوا من الوثنيين، أو اليهود، أو النصارى!!

وإذا ما علمنا بأن واضعي التاريخ الإسلامي في تلك الفترة كانوا يهدفون من وراء ما يدونون ويكتبون إلى إرضاء من بيدهم الأمر، والسلطان السياسي، والديني، من خلفاء وحكام وأمراء وفقهاء، بالإضافة إلى الخوف من السيوف الحادة المسلطة على الرقاب، علما أن التاريخ الإسلامي بمجمله عامر بالتباين والدس والتجني، والتزوير على من كان رأيه يخالف رأي الحكام!!!

والأغرب من هذا كله لا يزال بعض الكتاب من المعاصرين يجرون على قاعدة الأخذ والنقل والاقتباس عن المصادر والنصوص القديمة دون التدقيق، والتمييز بين الواقع والخيال، والأسطورة والحقيقة.

وليس القول بأن عبد الله بن سبأ المزعوم كان يهوديا من الغلاة الذين ساهموا بوضع أسس الغلو في الإسلام، سوى فرية. من الفريات التي لفقها الخصوم، وحاولوا من خلالها الطعن في ماهية الأفكار الشيعية، الخلافة المبدعة.

فالنصوص المتعلقة بالحركات الباطنية التي ظهرت في الإسلام، والتي نملك الكثير منها في مكتبتنا الخاصة، لا تشير من قريب أو بعيد، أو حتى بواسطة الرمز والإشارة إلى أي مساهمة لمن يدعى عبد الله بن سبأ من تكوين هذه الحركات.

وانطلاقا من هذا يمكننا أن نجزم بأن عبد الله بن سبأ لم يكن له أية صلة، أو علاقة تأسيسية أو تكوينية في أفكار الشيعة، أو الحركات الباطنية التي ظهرت في الإسلام.

أما التلميح بأن هناك مخطوطات باطنية تثبت بأن ابن سبأ كان يهوديا مندسا هو محض افتراء وتحريض على الشيعة خاصة، وعلى الفرق الباطنية عامة التي زعم البعض بأنها تقدسه وتعتبره داعيها الأكبر، ومؤسس عقائدها الدينية، فابن سبأ مشكوك في وجوده من الناحية التأريخية (١).

وبين المستشرق (كايتاني): أن مؤامرة مثل هذه بهذا التفكير وهذا التنظيم لا يمكن أن يتصورها العالم العربي المعروف عام (٣٥ ه) بنظامه القبلي القائم على سلطان الأبوة وأنها تعكس أحوال العصر العباسي الأول بجلاء، فقد اقتضى قتل الإمام علي واستشهاد الحسين وأتباعه المفجع في كربلاء حدوث تبدل اجتماعي كبير قبل أن يكون ظهور التشيع الثوري ذي الصبغة المهدوية (٢).

إن ابن سبأ هذا لم يتحدث عنه واضعو التاريخ الإسلامي كابن شهاب الزهري، وعروة بن الزبير، وأبان بن عثمان، وأبو بكر بن حزم، وموسى بن عقبة، والواقدي، وغيرهم ممن دونوا الحديث والأحداث في أواخر عهد الأمويين.

ولا ورد على لسان الأمويين أنفسهم: كمعاوية وأمثاله الذين كانوا يبذلون الملايين لمن يروي لهم ما يسئ إلى علي (ع) وشيعته.

ولم يعرف التاريخ الإسلامي خلال المائة الأولى وحتى أواخر النصف الأول من المائة الثانية عن وجود هذا البطل الأسطوري في

---

(١) الإمامة وقائم القيامة: ص ٨٧ - ٨٨.

(٢) أصول الإسماعيلية: ص ٨٧، نظرية الإمامة: ص ٣٧.

تفكيره ومقدرته وشعوذاته شيئا.
ومهما كان الحال فلم يكن الدكتور طه حسين الوحيد بين كتاب العرب المحدثين الذين ذهبوا إلى أن اسم عبد الله بن سبأ منحول قد اخترعه أولئك الذين كانوا يحقدون على أئمة الشيعة ويعملون على تشويه آثارهم ومعالمهم بكل الوسائل.
فأكثر المؤرخين من الكتاب العرب والمستشرقين لا يمرون بما ينسب إلى السبئية من أحداث إلا ويضعون حولها أكثر من علامة توحى بأن هذا الاسم من الشخصيات الوهمية، أو أنه مستعار لشخصية (عمار بن ياسر) الذي كان من أبرز المناوئين لسياسة عثمان بن عفان وتصرفات عماله الجائرة، وحتى لا نذهب بعيدا في سرد الأقوال والآراء التي تؤيد هذا الرأي نكتفي بما جاء في كتاب (وعاظ السلاطين) (١) للكاتب الشهير الدكتور علي الوردي، حيث قال بعد أن نقل بعض ما جاء عن ابن سبأ وما نسب إليه من الآراء والأعمال:
يخيل لي أن حكاية ابن سبأ من أولها إلى آخرها كانت حكاية متقنة الحبك رائعة التصوير.
إن القرشيين لم يكونوا دهاة في ميزان السياسة فحسب بل كانوا ماهرين في فن القصص أيضا، ويبدو أن قريشا كانت في أيام عثمان تتحدث عن عمار بن ياسر في منتدياتها الخاصة وتشتمه سرا حيث لم تكن ترى من مصلحتها إعلان شتمه أمام الناس يومذاك، وربما سمع أحد الرواة قريشا تلهج بذكر – ابن السوداء – وتشتمه فظن أنها تعني شخصا آخر غير عمار بن ياسر.
ومضى يقول: ومن يدري فلعل حكاية – ابن سبأ – نشأت في أول

---

(١) وعاظ السلاطين: ص ٢٧٣ وما بعدها.

الأمر من هذا الظن الخاطئ ثم تراكمت حوله الأساطير شيئا فشيئا.
ومن غرائب الأمور أن نرى كثيرا من الأمور التي تنسب إلى ابن سبأ موجودة في سيرة عمار على وجه من الوجوه وهذا يدعو إلى التأمل، فإن من يدرس أعمال عمار بن ياسر وأقواله يجد تشابها مدهشا بينها وبين ما نسب إلى ابن سبأ لكي يرى رأيه فيها وأحسب أن القارئ سيعجب معي لهذا التشابه المدهش بين ما نسب لعمار وما نسب إلى ابن سبأ من أمور.
لقد كان ابن سبأ يعرف - بابن السوداء - وقد رأينا كيف كان عمار يكنى - بابن السوداء - أيضا وقد اعتاد العرب أن ينسبوا عدوهم إلى أب وضيع أو أم وضيعة حيث كانوا يهتمون كل الاهتمام بالنسب فإذا كرهوا أحدا جعلوه من نسل المحتقرين والسلفة، ومضى يقول:
ومما تجدر الإشارة إليه أن قريشا كانت تطلق على محمد بدء الدعوة (ابن أبي كبشة) امتهانا له كما أطلقت على عمر بن الخطاب (ابن خثمة)، ونال عمار بن ياسر من هذا شيئا كثيرا فكانوا يطلقون عليه (ابن سمية) و (ابن المتكأ) و (ابن السوداء).
وكان عمار بن ياسر من أب يماني ومعنى هذا: أنه كان من أبناء سبأ فكل يماني يصح أن يقال عنه أنه ابن سبأ لأن أهل اليمن كلهم ينتسبون إلى سبأ بن يشخب بن يعرب بن قحطان، وفي القرآن الكريم: قال الهدهد لسليمان: أنه جاءه من سبأ، كما في الآية (وجئتك من سبأ بنبأ عظيم) يقصد بذلك اليمن.
وعمار فوق ذلك كله كان شديد الحب لعلي بن أبي طالب (ع) يدعو له ويحرض الناس على بيعته في كل سبيل. ويحكى الآلوسي في كتابه (روح المعاني): أن رجلا جاء إلى عمار يسأله تفسير الآية القرآنية القائلة: (وإذا وقع القول عليهم أخرجنا لهم دابة من الأرض

تكلمهم)، فقال عمار: إن هذه الدابة علي بن أبي طالب (ع).
وهذا القول الذي ينسب إلى عمار نجد له مثيلا ينسب إلى ابن سبأ حيث كان كما ينسبون إليه يؤمن برجعة علي بعد موته. وقد ذهب عمار في أيام عثمان إلى مصر وأخذ يحرض الناس ثمة على عثمان فضج الوالي منه وهم بالبطش به، وهذا الخبر يشابه ما نسب إلى ابن سبأ من أنه استقر في مصر واتخذ الفسطاط مركزا لدعوته وشرع يراسل أنصاره منها.
وينسب إلى ابن سبأ أنه كان يقول: إن عثمان أخذ الخلافة بغير حق وأن صاحبها الشرعي هو علي بن أبي طالب (ع)، والواقع أن هذا هو كلام عمار بن ياسر بالذات، فقد سمع ذات يوم يصيح في المسجد إثر بيعة عثمان: يا معشر قريش! أما إذا صرفتم هذا الأمر عن بيت نبيكم هاهنا مرة وها هنا مرة فما أنا بآمن من أن ينزعه الله فيضعه في غيركم كما نزعتموه من أهله ووضعتموه في غير أهله.
ويعزي إلى ابن سبأ أنه هو الذي عرقل مساعي الصلح بين علي وعائشة أبان (معركة البصرة) ولولاه لتم الصلح بينهما حسبما يقول الرواة، ومن يدرس تفاصيل (واقعة البصرة) يجد عمارا يقوم بدور فعال فيها، فهو الذي ذهب مع الحسن ومالك الأشتر إلى الكوفة يحرض الناس على مناصرة علي (ع) والانتماء لجيشه.
وكان وقوف عمار بن ياسر إلى جانب علي (ع) من أسباب ندم الزبير وخروجه من المعركة، (لأن عمارا مع الحق) و (تقتله الفئة الباغية) (١) كما سمع الزبير ذلك من رسول الله (ص) مع من سمعه من عشرات الصحابة.
وأضاف إلى ذلك أنهم قالوا: إن ابن سبأ هو الذي حرك أبا ذر في

---

(١) تاريخ بغداد: ج ١ ص ١٥٠، مناقب الخوارزمي: ص ١٢٣، الأخبار الطوال للدينوري: ص ١٤٩.

دعوته إلى الاشتراكية، ولو درسنا صلة عمار بأبي ذر لوجدناها وثيقة جدا، فكلاهما من مدرسة واحدة هي مدرسة علي بن أبي طالب (ع) وكان هؤلاء الثلاثة يجتمعون دائما ويتشاورون ويتعاونون معا.

لقد كان أبو ذر (رحمه الله) من أولئك الذين أنكروا على عثمان بن عفان وعماله تبذير الأموال واستغلال موارد الدولة لصالحهم وشهواتهم متجاهلين مبادئ الإسلام وأصوله وعدالته وحقوق الفقراء والمساكين في تلك الأموال، وكان أبو ذر وعمار بن ياسر وجماعة من كرام الصحابة يراقبون تلك التصرفات بمنتهى الدقة وتتعالى صرخاتهم في وجه أولئك الطغاة بدافع من إيمانهم العميق وحرصهم على حقوق العباد غير مبالين بسياط الجلادين، وكان رد عثمان بن عفان على تلك المواقف الكريمة، أن خطب الناس يوما وقال فيما قال: لنأخذن حاجتنا من هذا المال وإن رغمت أنوف أقوام وأقوام، فاعترضه عمار بن ياسر وقال: أشهد الله أن أنفي أول راغم من ذلك، كما رد عليه علي (ع) وقال: (إذن تمنع من ذلك ويحال بينك وبينه).

هذه المواقف من هذه الفئات الكريمة الداعية إلى تطبيق العدالة والاحتفاظ بموارد الدولة من الأموال لصالح الشعوب وصفها بعض الكتاب بالاشتراكية، وقال: إن عبد الله بن سبأ هو الذي حرك أبا ذر في دعوته إلى الاشتراكية، ولا ضير في هذه النسبة ما دامت دعوته هذه تعبر عن واقع الإسلام وجوهره ولا تضرها تسمية الشيوعيين وغيرهم من المنحرفين بالاشتراكية، في حين أنها لا تتصل باشتراكية الشيوعيين بصلة من الصلات.

بقي أن أبا ذر (رحمه الله) هل كان في حاجة لمن يحركه في دعوته إلى العدالة والتشهير بأولئك المستهترين بكل ما جاء به

الإسلام من المبادئ والتشريعات ويعلمه ما يجب عليه تجاه أولئك الجائرين ليلتجئ إلى يهودي دخيل على الإسلام وقد اندس بين صفوف المسلمين للتخريب وتمزيق وحدتهم حسب المواصفات التي تحدد شخصيته عند المؤلفين في الفرق وبعض المؤرخين.

لا أظن أحدا يعرف تاريخ أبي ذر الغفاري ومدى تأثره بدعوة الرسول وصلابة إيمانه يحتمل فيه ذلك.

ومما يؤيد نظرية الدكتور الوردي وغيره ممن تعرضوا لهذا الموضوع ووضعوا أكثر من علامة استفهام حول تلك الشخصية الغريبة وانتهى ببعضهم البحث إلى أن تلك الشخصية لا وجود لها في التاريخ وأن الصرخات التي كانت تزعجهم هي صرخات عمار بن ياسر ومواقفه الكريمة من الذين غيروا وبدلوا ما خطط له رسول الله وكانوا ينعتونه بتلك الألقاب تحاشيا من ذكره باسمه، مما يؤيد ذلك ما رواه أكثر المؤرخين والمفسرين في تفسير (يمنون عليك أن أسلموا) (١) فقد جاء في تفسيرها أن المسلمين حينما بنوا المسجد كان عمار يجهد نفسه ويحمل حجرين بينما غيره حجرا واحدا، وبعضهم كان يتحرك ذاهبا وجائيا بدون أن يقوم بأي عمل فمر عثمان بن عفان يصنع كما يصنع وكأن الأمر لا يعنيه وقد ارتفع الغبار وثار في وجهه، فوضع كمه على أنفه فقال عمار:

لا يستوي من يبتني المساجدا * يظل فيها راكعا وساجدا
ومن يرى عن الغبار حائدا * يعرض عنها جاحدا معاندا

فالتفت عثمان كما جاء في أكثر الروايات، وقال: يا ابن السوداء! إياي تعني، ثم أتى رسول الله وقال له: لم ندخل معك لسب أعراضنا.

---

(١) سورة الحجرات: الآية: ١٧.

فقال له النبي (ص): (قد أقلتك إسلامك فاذهب)، فأنزل الله عليه الآية.

وبهذه المناسبة يروي الرواة أن النبي (ص) قال: (ما لهم ولعمار يدعوهم إلى الجنة ويدعونه إلى النار أن عمارا جلدة ما بين عيني وأنفي) (١).

ويضيف السيد هاشم معروف الحسني لنظرية الوردي: وكما كانت أمه توصف بذلك كان هو يغلب عليه السواد ويوصف به.

فلقد جاء في كتاب (النزاع والتخاصم بين أمية وهاشم) أن يوسف بن عمر عامل هشام بن الحكم على الكوفة كان يقول في بعض خطب الجمعة: إن أول من فتح على الناس باب الفتنة وسفك الدماء علي بن أبي طالب وصاحبه الزنجي ويعني بصاحبه الزنجي – عمار بن ياسر – كما وأن التعبير عنه بابن سبأ ليس لأنه يمني الأصل كما ذهب بعض الكتاب فقط، بل لأن سبأ يقع في سلسلة أجداده كما جاء في (فتوح البلدان) و (طبقات ابن سعد).

ففي (الطبقات): هو عمار بن ياسر بن مالك بن عوف بن حارثة بن عامر بن يام بن عنس – وهو زيد بن مالك – بن أدد بن يشجب بن غريب بن زيد بن كهلان بن سبأ.

وقد أكد في (فتوح البلدان) وابن خلدون في (تأريخه): أن عنس الجد القريب لعمار هو زيد بن مالك بن أدد بن غريب بن زيد بن كهلان بن سبأ هذا بالإضافة إلى أن جميع أهل اليمن ينسبون إلى سبأ كما تشير إلى ذلك الآية (وجئتك من سبأ بنبأ يقين).

بقي أن الشخص الذي تنسب إليه تلك الأحداث الجسام يعرف بينهم بعبد الله بن سبأ والأمر في ذلك سهل بعد التتبع فإن التعبير عن

---

(١) سيرة ابن هشام.

الشخص مهما بلغت منزلته بعبد الله كان سائغا بل مستحسنا لديهم، وأكثر الكتب التي كانت تصدر من الخلفاء لأي جهة كانت والتي كانت ترد إليهم من العمال تفتتح: من عبد الله فلان إلى عبد الله فلان، فتسمية عمار بن ياسر بهذا الاسم ليست خروجا على المتعارف وربما كانت بقصد التلميح إليه كتسميته بابن سبأ مع أن بينه وبين جده الأعلى سبأ أكثر من اثني عشر جدا، كما كان سائر الناس يسمى نفسه بعبد الله إذا لم يفصح عن اسمه الصحيح أو تواضعا لله سبحانه.

ويستطرد العلامة الحسني قائلا: هذا كله بالإضافة إلى أنه لو كان بطل تلك الأحداث التي ابتلى بها عثمان في المدينة وخارجها ذلك اليهودي الدخيل كما يزعمون للزم أن يكون معروفا لدى عثمان وولاته، مع أنه كما يبدو لم يرد له ذكر على لسان عثمان وولاته ولم يحدث التاريخ بأنه شكاه إلى أحد، بل كان يتهم عليا، وعمار بن ياسر، وأبا ذر الغفاري بالتحريض عليه، وكان يشكوهم إلى الناس وذهب يوما إلى العباس بن عبد المطلب، وقال له: إن عليا قطع رحمي وألب الناس علي هو وابنك عبد الله، ومرة أخرى قال على منبر المسلمين: إن عليا لا يزال يعيبني ويظاهر من يعيبني يعني بذلك عمارا وأبا ذر، وأحيانا كان يتهم طلحة والزبير وعائشة بتحريض الناس عليه، إلى غير ذلك من مواقفه الكثيرة التي لم يشر فيها ولو من بعيد إلى اليهودي الدخيل الذي أثار الدنيا وأقعدها عليه كما يزعمون.

ومن غير المعقول أن يخفى عليه وعلى ولاته وأن يسكت عنه لو كان له وجود كما يدعون في الوقت الذي جلد عمارا وابن مسعود وغيرهما من صلحاء الصحابة وظل يطارد أبا ذر ويلاحقه حتى فرض عليه الإقامة في منطقة نائية خالية من السكان وفيها كانت نهاية حياته

الحافلة بالجهاد والتضحيات في سبيل الله وخير الناس أجمعين.
ويختتم الحسني قوله عن ابن سبأ فيقول: وحتى أن معاوية نفسه الذي يشتري من الكذبة والوضاعين ما يسئ إلى علي وآل علي بأغلى الأثمان لم يتحدث هو وعماله عن يهودي وضع فكرة الوصاية والتشيع لعلي (ع).
كل هذه الأمور مجتمعة تجعلنا نجزم بأن ابن سبأ ليس سوى أسطورة مدسوسة بصفاقة وقحة في وسط التيارات السياسية والعقائدية التي كانت تتصارع على مسرح العالم الإسلامي، فإذا كان إنسان هذه صفاته قد استطاع أن يلعب ذلك الدور الذي زعم أن ابن سبأ قد لعبه، فأين كان الصحابة، والعقلاء، وأصحاب الرأي السديد من الصحابة والمهاجرين والأنصار؟ حتى يفسحوا له المجال للقيام بما قام به؟!!
(ط) التشيع وهدم الإسلام.
(٩) والأغرب من هذا وذاك ما نطق به أحمد أمين المصري حيث يقول: والحق أن التشيع كان مأوى يلجأ إليه كل من أراد هدم الإسلام... الخ (١) وكقوله: كأن العقول كلها أجدبت وأصيبت بالعقم إلا عقل علي بن أبي طالب (ع) وذريته (٢).
وأحمد أمين هذا من ألد أعداء الشيعة ولعل بغضه لهم يجره إلى الطعن في عظمائهم ورؤساء مذهبهم فإن له عليهم جنابات لا تغتفر وإساءات لا تحضر ومن أراد الوقوف عليها فعليه بكتابه (فجر الإسلام) ليرى الافتراء والبهتان بالعيان. فكيف فاه بها هذا الرجل وأي ذنب للشيعة تستوجب به هذا الخطاب وأي جناية لها تستحق بها هذا العذاب.

---

(١) فجر الإسلام: ص ٢٣٨.
(٢) نفس المصدر: ص ٢٣٩.

وقد سبقه بهذا الطعن على الشيعة صاحب (الصواعق المحرقة) (٣) اسمعه يقول: وأما الرافضة والشيعة ونحوهما إخوان الشياطين، وأعداء الدين، وسفهاء العقول، ومخالفي الفروع والأصول، ومنتحلو الضلال، ومستحقو عظيم العذاب والنكال، فهم ليسوا بشيعة لأهل البيت المبرئين من الرجس، المطهرين من شوائب النقص والدنس، لأنهم أفرطوا في جنب الله فاستحقوا منه أن يبقيهم متحيرين في مهالك الضلال والاشتباه وإنما هي شيعة إبليس اللعين، وخلفاء أبنائه المتمردين فعليهم لعنة الله وملائكته والناس أجمعين.

---

(٣) الصواعق المحرقة في الرد على أهل البدع والزندقة: ص ٩٢.
الرفض: الترك ولم يخل أحد من الرفض الذي هو الترك، قال الشهرستاني في (الملل والنحل) إن جماعة من شيعة الكوفة رفضوا زيدا (رضي الله عنه) فجرى الاسم، وذكر نحوه نظام الدين شارح (الطوالع)، وصاحب (منهاج التحقيق)
قال ابن شهرآشوب: الصحيح أن أبا بصير قال للصادق عليه السلام: إن الناس يسمونا (الرافضة) فقال: (والله ما سموكم به ولكن الله سماكم، فإن سبعين رجلا من خيار بني إسرائيل آمنوا بموسى وأخيه، فسموهم رافضة، فأوحى الله إلى موسى أثبت هذا الاسم لهم في التوراة، ثم ادخره الله لينحلكموه.
يا أبا بصير! رفض الناس الخير، وأخذوا بالشر، ورفضتم الشر وأخذتم بالخير).
روى الإمام موسى الكاظم عليه السلام قول النبي - صلى الله عليه وآله - لأبي الهيثم بن التيهان والمقداد وعمار وأبي ذر وسلمان: (هؤلاء رفضوا الناس، ووالفوا عليا، فسماهم بنو أمية الرافضة).
وعن سماعة بن مهران أن الإمام الصادق عليه السلام قال: (من شر الناس)
قلت: نحن فأنهم سمونا كفارا ورافضة فنظر إلى وقال: (كيف إذا سبق بكم إلى الجنة، وسيق بهم إلى النار؟ فينظرون فيقولون: ما لنا لا نرى رجالا كنا نعدهم من الأشرار).
قيل لعلوي: يا رافضي: فقال: الناس ترفضت بنا، فنحن بمن نترفض.
قال ابن حماد:
عقد الإمامة في الإيمان مندرج * والرفض دين قويم ماله عوج
ما في عداوة من عادى الوصي علي * من كان مولى له إثم ولا حرج
الله شرفني إذ كنت عبدهم * وحبهم بدمي واللحم ممتزج
دين الولي والبر إلا ابتغى بدلا * ولا إلى غيره ما عشت أنعرج
وقال الشافعي
إذا في مجلس ذكروا عليا * وسبطيه وفاطمة الزكية
فقطب وجهه من نال منهم * فأيقن أنه لسلقلقية
إذا ذكروا عليا أو بنيه * تشاغل بالروايات الغبية
يقول لما يصح ذروا فهذا * سقيم من حديث الرافضية

برئت إلى المهيمن من أناس * يرون الرفض حب الفاطمية
على آل الرسول صلاة ربي * ولعنته لتلك الجاهلية
روى الورام بن أبي فراس الحلي صاحب كتاب (تنبيه الخاطر) قال: قيل للصادق عليه السلام: إن عمار الدهني شهد اليوم عند أبي ليلى قاضي الكوفة بشهادة، فقال له القاضي: قم يا عمار! فقد عرفناك لا تقبل شهادتك، لأنك رافضي، فقام عمار وقد ارتعدت فرائصه، واستفزعه البكاء.
فقال له ابن أبي ليلى: أنت رجل من أهل العلم والحديث. إن كان يسؤك أن يقال لك: رافضي، فتبرأ من الرفض، وأنت من إخواننا.
فقال له عمار: يا هذا! ما ذهبت والله إلى حيث ذهبت، ولكني بكيت عليك وعلي، أما بكائي على نفسي فنسبتني إلى رتبة شريفة لست من أهلها، زعمت أني رافضي.
لقد حدثني الصادق عليه السلام: (إن أول من سمى الرافضة السحرة الذين لما شاهدوا آية موسى عليه السلام في عصاه آمنوا به، واتبعوه، ورفضوا أمر فرعون، واستسلموا الكل ما نزل بهم، فسماهم فرعون (الرافضة)، لما رفضوا دينه.
فالرافضي: من رفض كلما كرهه الله، وفعل كلما أمره الله، فإن في الزمان مثل هذا، فإنما بكيت على نفسي خشية أن يطلع الله عز وجل على قلبي، وقد تقبلت هذا الاسم الشريف على نفسي، فيعاقبني ربي عز وجل، ويقول: يا عمار! أكنت رافضا للأباطيل، عاملا للطاعات، كما قال لك، فيكون ذلك مقصرا بي في الدرجات أن سامحني موجبا لشديد العقاب، على أن ناقشني، إلا أن يتداركني موالي بشفاعتهم.
وأما بكائي عليك، فلعظم كذبك في تسميتي بغير اسمي، وشفقتي الشديدة عليك من عذاب الله، أن صرفت أشرف الأسماء إلى أن جعلته أرذلها. انتهى
وقد أحسن الشافعي حيث قال:
يا راكبا قف بالمحصب من منى * واهتف بساكن خيفها والناهض
سحرا إذا فاض الحجيج إلى منى * فيضا كمنسكب السحاب الفائض
وقل: ابن إدريس بتقديم الذي * قدمتموه على علي مارضي
إن كان رفضا حب آل محمد * فليشهد الثقلان أني رافضي

وكيف يزعم محبة قوم من لم يتخلق قط من أخلاقهم ولا عمل في عمره بقول من أقوالهم ولا تأسى في دهره بفعل من أفعالهم ولا تأهل لفهم شئ من أحوالهم... الخ.

لقد اطلعت في بحوث هذه على كثير من الغث والسمين، ولكن من حسن الحظ وقفت على مقدمة لكتاب عقائدي، كتبها أحد العلماء الأعلام والمربين الكرام وهو: الأستاذ حامد حفني داود المشرف على الدراسات الإسلامية بجامعة (عليكرة) بالهند، فسرني تجرده عن العواطف، وآمنت بعد ذلك أن هناك كتابا موضوعيين، بعد أن كدت أن لا أصدق بوجود أمثاله لكثرة ما اطلعت عليه من مفارقات في كتابات الكثيرين من المتقدمين والمحدثين.

يقول الأستاذ حامد في مقدمته للكتاب العقائدي الإمامي: يخطئ كثيرا من يدعي أنه يستطيع أن يقف على عقائد الشيعة الإمامية وعلومهم وآدابهم مما كتبه عنهم الخصوم، مهما بلغ هؤلاء الخصوم من العلم والإحاطة، ومهما أحرزوا من الأمانة العلمية في نقل النصوص والتعليق عليها بأسلوب نزيه بعيد عن التعصب الأعمى.

أقول ذلك جازما بصحة ما أدعى بعد أن قضيت ردحا طويلا من الزمن أدرس فيه عقائد الأئمة الاثني عشر بخاصة وعقائد الشيعة بعامة، فما خرجت من هذه الدراسة الطويلة التي قضيتها متصفحا في كتب المؤرخين والنقاد من أهل السنة بشئ ذي بال. وما زادني اشتياقا إلى هذه الدراسة، وميلي الشديد في الوقف على دقائقها إلا بعدا عنها، وخروجا عما أردت من الوصول على حقائقها.. ذلك لأنها دراسة بتراء أحلت نفسي فيها على كتب الخصوم لهذا المذهب، وهو المذهب الذي يمثل شطر المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها.

ومن ثم اضطرت بحكم ميلي الشديد إلى طلب الحقيقة حيث كانت والحكمة حيث وجدت والحكمة ضالة المؤمن، إن أدبر دفة دراستي العلمية لمذهب الأئمة الاثني عشر، إلى الناحية الأخرى، تلك هي دراسة هذا المذهب في كتب أربابه، وأن أتعرف عقائد القوم مما كتبه شيوخهم والباحثون المحققون من علمائهم وجهابذتهم.

ومن البديهي أن رجال المذاهب أشد معرفة لمذهبهم من معرفة الخصوم به مهما بلغ أولئك الخصوم من الفصاحة والبلاغة أو أوتوا حظأ من اللسن والإبانة عما في النفس، وفضلا عن ذلك فإن الأمانة العلمية التي هي من أوائل أسس المنهج العلمي الحديث، هو المنهج الذي اخترته وجعلته دستوري في أبحاثي ومؤلفاتي حين أحاول الكشف عن الحقائق المادية والروحية.

هذه الأمانة المذكورة تقتضي التثبت التام في نقل النصوص والدراسة الفاحصة لها فكيف لباحث بالغا ما بلغ من المهارة العلمية والفراسة التامة في إدراك الحقائق أن يتحقق من صحة النصوص المتعلقة بالشيعة والتشيع في غير مصادرهم؟

إذن لارتاب في بحثه العلمي على غير أساس متين ذلك ما دعاني

أن أتوسع في دراسة الشيعة والتشيع في كتب الشيعة أنفسهم وأن أتعرف عقائد القوم نقلا عما كتبوه بأيديهم وانطلقت به ألسنتهم لا زيادة ولا نقص حتى لا أقع في الالتباس الذي وقع فيه غيري من المؤرخين والنقاد حين قصدوا للحكم على الشيعة والتشيع، وأن الباحث الذي يريد أن يدرس مجموعة ما من الحقائق في غير مصادرها ومظانها الأصلية إنما يسلك شططا ويفعل عبثا ليس هو من العلم ولا من العلم في شئ. ومثل هذا ما وقع فيه العلامة الدكتور أحمد أمين حين تعرض لمذهب الشيعة في كتبه.

فقد حاول هذا العالم أن يجلي للمثقفين بعضا من جوانب ذلك المذهب فورط نفسه في كثير من المباحث الشيعية كقوله: أن اليهودية ظهرت في التشيع. وقوله: أن النار محرمة على الشيعي إلا قليلا. وقوله: بتبعيتهم لعبد الله بن سبأ وغير هذا من المباحث التي تثبت بطلانها وبراءة الشيعة منها، وتصدى لها علماؤهم بالنقد والتجريح، وفصل الحديث فيها العلامة محمد حسين آل كاشف الغطاء في كتابه (أصل الشيعة وأصولها) (١).

ترى أي جناية بحق الله ورسوله يقدم عليها كاتب مسلم مثل (أحمد أمين) عندما يدعي بأن التشيع كان مأوى يلجأ إليه كل من أراد هدم الإسلام. ماذا سيقول هذا الكاتب لربه غدا.. إنا لله وإنا إليه راجعون...

الكلمات كم هي سهلة ويسيرة على لسان (أحمد أمين) و (ابن حجر) وغيرهما في حين أنها مسؤولية خطيرة في ميزان الله ورسوله، وأمانة كبيرة في معيار الإسلام وأخلاقه!!

---

(١) عقائد الإمامية: المقدمة / الطبعة الثالثة (١٩٦٨ م - النجف).

لست أدري هل راجع المدعو (أحمد أمين) نفسه عندما تلفظ بهذه العبارة النابية الوقحة التي لا يقرها مسلم ملتزم..؟! أم هي نفثات حقد دفين أراد (أحمد أمين) أن ينفس بها عن تصور خاص يحتفظ به في أعماقه إزاء هذه الطائفة من الأمة الإسلامية؟!..

ومنبع البلية كما يقول الشيخ محمد حسين آل كاشف الغطاء:

أن القوم الذين يكتبون عن الشيعة يأخذون في الغالب مذهب الشيعة وأحوالهم عن ابن خلدون البربري الذي يكتب وهو في إفريقيا وأقصى الغرب عن الشيعة في العراق وأقصى المشرق، أو عن أحمد بن عبد ربه الأندلسي وأمثالهم، فإذا أراد كتبة العصر أن يتضلعوا ويتوسعوا في معرفة الشيعة رجعوا إلى كتبة الغربيين وكتبة الأجانب كالأستاذ (ولهوسن) أو الأستاذ (دوزى) وأمثالهم، وهناك الحجة القاطعة والقول الفصل.

أما الرجوع إلى كتب الشيعة وعلمائهم فذاك مما لا يخطر على بال أحدهم، ولكن الشيعي الذي هو على بينة من أمره، وحقيقة مذهب إذا نظر إلى ما يكتبه حملة الأقلام، في هذه الأيام عن الشيعة وعقائدهم وجدها من نمط النادرة التي يحدثنا بها الراغب الأصفهاني في كتابه المعروف ب (المحاضرات)، قال ما يخطر ببالي: سئل رجل كان يشهد على آخر بالكفر عند جعفر بن سليمان فقال: إنه خارجي معتزلي، ناصبي، حروري، جبري، رافضي، يشتم علي بن الخطاب، وعمر بن أبي قحافة، وعثمان بن أبي طالب، وأبا بكر بن عفان، ويشتم الحجاج الذي هو والي الكوفة لأبي سفيان وحارب الحسين بن معاوية يوم القطايف – أي يوم الطف أو يوم الطائف – فقال له جعفر بن

سليمان: قاتلك الله ما أدري على أي شئ أحسدك؟ أعلى علمك بالأنساب! أم بالأديان أم بالمقالات؟ (١).

ويورد المسعودي في (مروجه) قصة كهذه، قال: قال لي رجل من أهل العلم سألني ذات يوم بعض العامة - كم تطنبون في فلان وفلان فقلت له: ما تقول أنت؟ قال من تريد؟ قلت: عليا ما تقول فيه؟ قال: أليس هو أبو فاطمة امرأة النبي (ع) بنت عائشة أخت معاوية، قلت: فما كانت قصة علي قال: قتل غزاة حنين مع النبي (٢).

وكأنهم نسوا المستشرق (فريد جيوم) صاحب كتاب (الإسلام) الذي جاء فيه: أن محمدا في شبابه كان يقدم القرابين للات والعزى، مع أن محمدا (ص) لم يحلف بهما قط، وقصته مع بحيرا الراهب مشهورة.

لقد طغى (أحمد أمين) في تهكمه على الشيعة، وحقيقي أن كلماته تلك ليست من بنات أفكاره، بل هي كلمات ابن حجر، وابن تيمية وابن خلدون، التي قد انخدع بها هو وغيره ممن يقولون: (إنا وجدنا آباءنا على أمة ونحن على آثارهم مقتدون) وكأن كتب الشيعة في حجر الأفاعي لا يستطيع الباحث الوصول إليها، أو كأن على بصره غشاوة.

كيف ساغ له الخضوع إلى الأوهام وكتب الحديث بأجمعها تذكر ما بشر به النبي (ص) شيعة علي (ع).

ومن الخير في هذه المناسبة أن أذكر الفتوى أصدرها شيخ الأزهر محمود شلتوت في شأن جواز التعبد بمذهب الشيعة الإمامية، قيل له: إن بعض الناس يرى أنه يجب على المسلم لكي تقع عباداته ومعاملاته على وجه صحيح أن يقلد أحد المذاهب الأربعة المعروفة

---

(١) أصل الشيعة وأصولها: ص ١٠٥ - ١٠٦.

(٢) مروج الذهب: ج ٢ ص ٧٣.

وليس من بينها مذهب الشيعة الإمامية ولا الشيعة الزيدية، فهل توافقون – فضيلتكم على هذا الرأي على إطلاقه فتمنعون تقليد مذهب الشيعة الإمامية الاثنا عشرية مثلا، فأجاب:

١ – أن الإسلام لا يوجب على أحد من أتباعه اتباع مذهب معين بل نقول: إن لكل مسلم الحق في أن يقلد بادي ذي بدء أي مذهب من المذاهب المنقولة نقلا صحيحا والمدونة أحكامها في كتبها الخاصة ولمن قلد مذهبا من هذه المذاهب أن ينتقل إلى غيره أي مذهب – كان، ولا حرج عليه في شئ من ذلك.

٢ – إن مذهب الجعفرية المعروف – بمذهب الشيعة الإمامية الاثنا عشرية – مذهب يجوز التعبد به شرعا كسائر مذاهب أهل السنة فينبغي للمسلمين أن يعرفوا ذلك وأن يتخلصوا من العصبية بغير الحق لمذاهب معينة، فما كان دين الله وما كانت شريعته بتابعة لمذهب أو مقصورة على مذهب، فالكل مجتهدون مقبولون عند الله تعالى يجوز لمن ليس أهلا للنظر والاجتهاد تقليدهم والعمل بما يقررونه في فقههم ولا فرق في ذلك بين العبادات والمعاملات.

(ى) التشيع والاعتزال

(X ١) إن التشيع كعقيدة سابق على الاعتزال كعقيدة، وأن الاعتزال ولد ودرج في أحضان التشيع، وأن رؤوس الشيعة أسبق من جهابذة المعتزلة. أزعم ذلك ما دمنا نسلم بالحقائق التأريخية، وما دمنا لا نشك من أن الرعيل الأول من الشيعة أخذوا في الظهور منذ عصر الراشدين وتطوروا في خلافة الإمام علي (ع) في صورة لا تقبل الجدل. وما كاد الإمام يستشهد ظلما وعدوانا وينتقل إلى الدار الآخرة حتى أصبح

للشيعة حزب يناهض جميع الأحزاب السياسية والدينية في الإسلام (١)

والتشيع بالمعنى الخاص ينافي الاعتزال، ويكفي في تحقيق المباينة أن الشيعة تقول بالنص – والمعتزلة لا تقول به، ولكن كثيرا من الشيعة كانوا يتظاهرون بالاعتزال، لمصلحة كانت يقتضيها ذلك الوقت، ومنهم يحيى بن زيد العلوي، الذي ينقل عنه ابن أبي الحديد جملة من التحقيقات العالية (٢).

إن الشيعة تقول بمقالة المعتزلة من نفى أن يكون له صفات أزلية من علم وقدرة وحياة وسمع غير ذاته، وهي تذهب أيضا كذهاب المعتزلة من الشارع الأقدس لم يجعل الشئ حسنا لأمره به، ولا القبيح قبيحا لنهيه عنه، بل إنما أمر به، أو نهى عنه لأنه حسن بذاته، أو قبيح بذاته، وهذا بخلاف الأشاعرة فإنهم لا يقولون بالحسن والقبح العقليين، وإنما يعتقدون أن الحسن ما أمر به الشارع وإن كان العقل يراه قبيحا وهكذا القول بالقبح.

وحيث اتفقت الشيعة والمعتزلة في كثير من النظريات الاعتقادية التي قام عليهما الدليل القطعي ترى بعض الباحثين يخلط أحيانا بين رجال الشيعة والمعتزلة وقد وقع في مثل هذا الخبط في التأريخ (أحمد أمين) في كتابه (فجر الإسلام) حيث قد عد العلامة المعتزلي ابن أبي الحديد من الشيعة وقال عنه: إنه من معتدليهم.

---

(١) عقائد الإمامية: المقدمة ص ١٩.

(٢) أصل الشيعة وأصولها: ص ٩٨.

(الفصل الثالث)
أدلة وجود التشيع أيام النبي (ص)
ومهما قالوا في التشيع فإن أول من أسسه بنظر صائب لم يتقدمه أحد فيه هو صاحب الشريعة وغارس بذرتها محمد بن عبد الله (ص) وأن لدينا الكثير من الروايات التي وردت عن النبي (ص) تصرح بلفظ الشيعة مما يدلنا على أن تقدم الشيعة حقيقة تأريخية راهنة يقرها العقل ويدعمها النقل.

١ - (كيف بك يا علي إذا وقفت على شفير جهنم وقدمت الصراط وقيل للناس جوزوا لجهنم هذا لي وهذا لك؟ فقال علي (ع) يا رسول الله! من أولئك؟ فقال: أولئك شيعتك معك حيث كنت) (١)

٢ - (يا علي! بشر شيعتك وأنصارك بخصال عشر: أولهما طيب المولد وثانيهما حسن أيمانهم بالله وثالثهما حب الله عز وجل لهم ورابعهما الفسحة في قبورهم وخامسها النور على الصراط بين أعينهم وسادسهما نزع الفقر من بين أعينهم وغنى قلوبهم وسابعهما المقت من الله عز وجل لأعدائهم وثامنها الأمن من الجذام والبرص والجنون وتاسعها

---

(١) أمالي الطوسي: ج ٧ ص ٩٢.

انحطاط الذنوب والسيئات عنهم وعاشرها هم معي في الجنة وأنا معهم) (٢)
٣ - وعن أبي ذر (رض) قال: رأيت رسول الله (ص) وقد ضرب على كتف علي بن أبي طالب (ع) بيده وقال: (يا علي! من أحبنا فهو العربي ومن أبغضنا فهو العلج، شيعتنا أهل البيوتات والمعادن والشرف، ومن كان مولده صحيحا وما على ملة إبراهيم إلا نحن وشيعتنا وسائر الناس منها براء، إن لله ملائكة يهدمون سيئات شيعتنا كما يهدم القوم البنيان) (٣)
٤ - وفي (تفسير الطبري): (إن عليا وشيعته هم خير البرية) (٤)
٥ - وفي (كنوز الحقائق): (إن عليا وشيعته هم الفائزون) (٥)
٦ - وفي (الصواعق المحرقة): (قال أمير المؤمنين: قال خليلي (ص): يا علي؟! إنك ستقدم على الله أنت وشيعتك راضين مرضيين ويقدم عليه عدوك غضابا مقمحين) (٦)
٧ - وأخرج أحمد في (المناقب): أنه (ص) قال لعلي (ع): (أما ترضى أنك معي في الجنة، والحسن والحسين وذريتنا خلف ظهورنا، وأزواجنا خلف ذريتنا، وشيعتنا عن أيماننا وشمائلنا) (٧)
٨ - وأخرج الديلمي: (يا علي! غفر لك ولذريتك، وولدك، ولأهلك، ولشيعتك، ولمحبي شيعتك فأبشر فإنك الأنزع البطين) (٨)
وفي الحق أن هذه الأحاديث النبوية الكريمة، لا تدل على أسبقية

---

(٢) خصال الصدوق: ص ٤٣٠.
(٣) أمالي الطوسي: ج ٧ ص ٩٣.
(٤) تفسير الطبري: ج ٣ ص ١٧١.
(٥) كنوز الحقائق: ص ٨٢.
(٦) الصواعق المحرقة: ص ٩٢.
(٧) نفس المصدر: ص ٩٦.
(٨) نفس المصدر: ص ٩٦.

الشيعة فحسب، بل تدلنا دلالة واضحة على ما لها من المكانة السامية في نظر النبي (ص) فإنك تراه لا يذكر أهل بيته (ع) إلا ويقرن أسماء شيعتهم بهم ولا يبشرهم بالجنة إلا ويخبرهم بأن شيعتهم في خدمتهم وإذا كان نفس صاحب الشريعة الإسلامية يكرر ذكر شيعة علي وينوه عنهم بأنهم هم الآمنون يوم القيامة، وهم الفائزون والراضون والمرضيون، ولا شك أن كل معتقد بنبوته يصدقه فيما يقول وأنه لا ينطق عن الهوى أن هو إلا وحي يوحى. فإذا لم يصر كل أصحاب النبي (ص) شيعة لعلي (ع) فالطبع والضرورة تلفت تلك الكلمات نظر جماعة منهم أن يكونوا ممن ينطبق عليه ذلك الوصف بحقيقة معناه لا بضرب من التوسع والتأويل.

وبالتالي، فإن مذهب التشيع تبلور واتخذ صورته واضحة جلية، بعد وفاة مؤسس الشريعة (ص) وأصبح للشيعة شعرهم المستقل.

فهذا الصحابي الجليل خزيمة بن ثابت - ذي الشهادتين - صاحب رسول الله (ص) أنشد:

إذا نحن بايعنا عليا فحسبنا
أبو حسن مما نخاف من الفتن
وجدناه أولى الناس بالناس أنه
أطب قريش بالكتاب وبالسنن
وإن قريشا لا تشق غباره
إذا ما جرى يوما على الضمر البدن

وصي رسول الله من دون أهله
وفارسه قد كان في سالف الزمن
وأول من صلى من الناس كلهم
سوى خيرة النسوان والله ذو المنن
وصاحب كبش القوم في كل وقعة
يكون له نفس الشجاع لدى الذقن
فذاك الذي تثنى الخناصر باسمه
امامهم حتى أغيب في الكفن

إذن، فجذور التشيع كانت موجودة في حياة النبي (ص) فلما بويع الإمام علي (ع) بالخلافة برزت الفكرة نضالية وأرست أسسها في (واقعة الجمل) وفي (معركة صفين) وتبلورت ذات نظام فكري في أواخر الدولة الأموية وأوائل الدولة العباسية وأصبح لها مباحثها – العقلية والمنطقية –، وأصبح التشيع نظاما إسلاميا وفكرة وعقيدة لها فلسفتها وفقهها.

وفي أيام الرشيد صار للمذهب الشيعي مدرسة فكرية منهجية منظمة أخرجت للعالم نظام الدولة السياسي على أساس نظام الحكم.

والإدارة في الإسلام! وبعامل التراث والأحقاد والضغائن اتهم كل منحرف عن الإسلام بكونه شيعيا!..

إذن فجذور التشيع كانت موجودة، لكن الأمويين لما كانوا عمالا لأبي بكر ولعمر كانوا يسدون الأبواب في وجه بني هاشم، ولسبب العداء المتأصل في نفوس بني أمية للإمام علي (ع) ولشيعته كانوا يبذلون كل ما في وسعهم لإقصاء الإمام علي (ع) عن الخلافة لأنهم كانوا يعتقدون أنه إذا صارت الخلافة إليه فلن تزول عنه وعن ذريته من بعده بسبب اللياقة التي أتصف بها الإمام علي (ع) وأصحابه ولتعلق الناس به وببيته لما عرفوا به من تقوى وشجاعة وإيمان وإدراك وعقل يميزون به الأمور!

ولم يكتف الأمويون بمحاربة الإمام علي (ع) وشيعته بل عمدوا إلى استئجار الشعراء والمغنين والمخنثين وفي عدادهم عمر بن أبي ربيعة لإشاعة السمعة الفاسدة لمكة والمدينة المنورة عاصمتي الدين الإسلامي يظهروهما بمظهر المكانين اللذين لا يليقان بالزعامة الدينية.

وبعد تلك المواقف الكثيرة من الرسول القائد للدعوة التي أحصينا القليل منها ما أدري كيف صح لأولئك الكتاب وكيف سمحوا لأنفسهم أن يدعوا أن التشيع لعلي بن أبي طالب (ع) كان حدثا طارئا كغيره من الفرق؟

وذهبوا يمينا وشمالا يبحثون عن أسبابه ومبرراته، ثم أدعى بعضهم بعد أن أعيته وسائل التمويه والتضليل أن الذي ثبت لعلي (ع) هو القيادة الروحية لا غيرها أما السياسية والاجتماعية فالنصوص لا تدل عليهما وصدق الله حيث يقول في كتابه الكريم (أنها لا تعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور).

ولقد اعترض الأستاذ محمد أبو زهرة المصري بعد التسليم بفضل أهل العصمة فادعى أن الحديث لا يدل على إمامة السياسة وأنه أدل على إمامة الفقه والعلم، فهذا لا ريب هو المطلوب وبثبوته يثبت ما وراءه.

أن الحث قد وقع على التمسك بالكتاب والعترة، ومن تمسك بهما في دينه كان أولى به أن يتمسك بدستورهما القويم في سياسته، بل في شتى المجالات، حتى في طريقة انضجاعه في فراشه، وطريقة أكله وشربه.

كما اعترض أيضا وادعى أن الحديث الشريف قد رواه بعض الثقات بلفظ وسنتي، وليس بلفظ وعترتي، وهذا ما ينفيه الواقع، لأن الرواة الذين رووا الحديث بلفظ وسنتي، لا يزيدون على عدد أصابع اليد الواحدة، والرواة الذين رووه بلفظ وعترتي، يزيد عددهم على ما يفيد التواتر، هذه من جهة.

أما من جهة المفهوم فإن السنة تكاد تفهم بدون العترة لأنها لم تجمع على عهده (ص) وفيها الناسخ والمنسوخ، والعام والخاص، والمطلق والمقيد. وقد كان (ص) يفتي ويحكم بحضرة من حضره من أصحابه فصاحب البيت أدري بالذي فيه، وإنما قامت الحجة على سائر من لم يحضره، بنقل من حضره، وهو واحد أو اثنان. هذا ولو تصورناه في أقواله فكيف نتصوره في أفعاله، وتقريراته لمن استفتاه، وهما من السنة، وماذا يصنع من يريد التمسك بسنته من بعده إذا افترضناه من غير الصحابة؟

أيضل يبحث عن جميع الصحابة الذين هم من الولاة والحكام والقواد والجنود في الثغور، ليسألهم عما يريد التعرف عليه من أحكام، أم يكتفي بالرجوع إلى الموجودين، وهل جميع الصحابة يستطيعون الفتيا؟ بل ذلك لا يجز به لاحتمال الناسخ والمنسوخ أو المقيد أو المخصص أمام واحد أو اثنين ممن لم يكونوا بالمدينة والحجية كما يقول ابن حزم لا تتقوم إلا بهم.

وإن كانت هذه المشكلة قائمة بالنسبة إلى من أدرك الصحابة، وهم القلة نسبيا فما الرأي بالمشكلة التي بعد الفتوح وانتشار الإسلام، ومحاولة التعرف على أحكامه وبخاصة بعد انتشار الكذب الواضح في الحديث للأغراض السياسية أو النفسية؟

ومثل هذه المشكلة هل يمكن ألا تكون أمامه (ص) وهو المسؤول عن وضع الضمانات لبقاء شريعته وهي خاتمة الشرائع، وقد شاهد قسما من التنكر لسنته على عهده؟ وما دمنا نعلم أن السنة لم تدون على عهده وأنه منزه عن التفريط برسالته، فلا بد أن نفترض جعل مرجع تحدد لديه السنة بجميع خصائصها. وبهذا تتضح أهمية (حديث الثقلين) وقيمة ارجاع الأمة إلى أهل بيته لأخذ الأحكام عنهم، كما تتضح أسرار تأكيده على الاقتداء بهم، وجعلهم سفينة النجاة تارة، وأمانا للأمة أخرى، وباب حطة ثالثا. (١)

---

(١) شبهات حول التشيع: ص ٤٠ - ٤١.

الفصل الرابع
(مراحل التشيع)
رسم الدكتور عبد العزيز الدوري هذا التطور عن طريق تقسيمه للتشيع إلى روحي بدأ أيام النبي (ص)، وسياسي حدث بعد مقتل الإمام علي (ع).
وقد استدل لذلك بأن التشيع بمعناه البسيط دون باقي خواصه الاصطلاحية قد استعمل في صحيفة التحكيم التي نصت على شيعة لعلي وشيعة لمعاوية مما يعطي معنى المشايعة والمناصرة دون باقي الصفات والأبعاد السياسية التي حدثت بعد ذلك. (١)
ويرى الدكتور كامل مصطفى الشيبي في كتابه (الصلة بين التصوف والتشيع): أن التشيع مر بثلاث مراحل تتصل المرحلة الأولى بظهور الإسلام من حيث أن عليا (ع) كان يمثل جوهر الإسلام وقد

---

(١) مقدمة في تاريخ صدر الإسلام: ص ٧٢.

التقى معه جماعة من المسلمين الأوائل: كسلمان الفارسي، وأبي ذر الغفاري، وابن السوداء المعروف – بعمار بن ياسر – وغيرهم ممن دخلوا الإسلام وتشربوا مبادئه وانصهروا بها فأحبوه وتابعوه وكان بعد الرسول مثلهم الأعلى الذي يمثل جوهر الإسلام من جميع نواحيه، ولم يكن تشيعهم له يومذاك يعدو هذه الناحية.

وتتصل المرحلة الثانية من مراحل التشيع كحركة سياسية بمصرع عثمان بن عفان حين تولى علي (ع) الخلافة واقترنت خلافته بتلك الأحداث الجسام والحروب الدامية التي رافقت سني خلافته كلها.

أما المرحلة الثالثة وهي تبلور تلك الحركة على حد تعبيره بمحتواها وما تحمله في طياتها وإعطائها اسم الشيعة كان بعد مقتل الحسين (ع)، ومن مجموع ذلك يمكننا أن نلخص هذا الفصل كما يدعى الشيبي بأن التشيع كان تكتلا إسلاميا ظهرت نزعته أيام النبي (ص) وتبلور اتجاهه السياسي بعد مقتل عثمان يوم بويع علي (ع) بالخلافة واستقل بمحتواه وبالاصطلاح الدال عليه بعد مقتل الحسين (ع).

واستطاع الشيخ محمد جواد مغنية أن يقسم الدعوة إلى التشيع باعتبار الأدلة التي كان يعتمدها الدعاة إلى ثلاثة أدوار: ويبدأ الدور الأول بوفاة الرسول (ص)، وينتهي بانتهاء العصر الأموي. لأنه ظهر أن دعاة التشيع ورواده في الدور الأول اهتموا قبل كل شئ بالدعوة إلى الولاء لأهل البيت، والإيمان بأنهم أحق الناس جميعا في خلافة النبي وميراثه في الحكم والسلطان، وأن الدعاة اعتمدوا على نصوص الكتاب والسنة، وأخلاق الرسول الأعظم، والتشيع منذ يومه الأول إلى آخر يوم يسير مع الإسلام جنبا إلى جنب.

ويبدأ الدور الثاني بعهد الإمام الصادق، أي بأول العهد العباسي

إلى عصر المفيد، وهو دور الحضارة والحركة الفكرية فقد ظهر فيه مذهب التشيع، وتميز عن غيره أصولا وفروعا، وأصبح للشيعة فقههم المستقل وآراؤهم الواضحة في كل ما يتصل بالعقيدة من قريب أو بعيد.

ويبدأ الدور الثالث بالشيخ المفيد المتوفى سنة (٤١٣ ه)، وينتهي هذا الدور بالعلامة الحلي المتوفى (٧٢٦ ه) الذي وضع أجوبة الشبهات ونقضها بشتى أنواعها في وضعها النهائي، ولم يدع فيها زيادة لمن جاء بعده، فهو دور الدفاع ورد العاديات. (١)

إن التشيع لعلي (ع) بمعناه الروحي زرعت بذرته في عهد النبي (ص) ونمت قبل توليه الخلافة والأدلة على ذلك كثيرة أهمها:

أولا - ورود الأحاديث التي سبقت الإشارة إليها.

ثانيا - وصية النبي لعلي بالإمامة والخلافة منها ما رواه الطبري أن النبي (ص) في مجلس ضم جماعة من بني هاشم بمكة، قال مشيرا لعلي: (إن هذا أخي ووصيي وخليفتي فيكم فاسمعوا له وأطيعوا...). (١)

ويضيف الطبري إلى أن النبي (ص) قال الحديث المذكور قبل هجرته إلى المدينة، ويعني ذلك أن النبي (ص) أشار بالدرجة الأولى إلى المدلول الديني لإمامة علي للمسلمين لأن الدولة الإسلامية حينذاك لم تقم بعد.

---

(١) الشيعة في الميزان: ص ٩٦ - ١١١.

(١) الكامل: ج ٢ ص ٩٣.

أما بيعة (غدير خم) فقد ذكرها اليعقوبي، وبين أن النبي أوصى فيها لعلي بالإمامة. (٢) وقد تناول العلامة الأميني (٣) البحث عن اشتهار (بيعة الغدير).

أما رأي الشيعة في الوصية فقد عبر عنه الشيخ الطوسي المعروف - بشيخ الطائفة - بقوله: إن التواتر حصل عن الشيعة أن النبي (ص) نص علي أمير المؤمنين (ع) بالإمامة بعده واستخلفه على أمته بألفاظ مخصوصة نقلوها:

منها قوله (ص): (سلموا علي علي بأمرة المؤمنين).

وقوله (ع) مشيرا إليه (صلوات الله عليه)، وآخذا بيده: (هذا خليفتي فيكم من بعدي فاسمعوا له وأطيعوا). (٤)

ثالثا - اختصاص عدد من الصحابة بعلي واعترافهم بالولاء له خلال حياة الرسول وفي حكم الخلفاء الثلاثة الأول من الراشدين. وفي الفتنة التي قتل بها عثمان قال الفضل بن العباس في علي (ع):

وكان ولي العهد بعد محمد * علي وفي كل المواطن صاحبه

علي ولي الله أظهر دينه * وأنت مع الأشقين فيما تحاربه ٥

ومن الجدير بالذكر أن كلمة (ولي) التي وردت في الشعر المذكور لها دلالتها الدينية، ويمكن أن تقوم دليلا على اعتراف الفضل بوجود صفات روحية لدى الإمام علي (ع) لا توجد لدى غيره من الصحابة.

رابعا - وجود عدد من شيعة علي يقولون بآرائه الفقهية في حياته ومن المعلوم أن القول بآراء فقهية لإمام معين خير دليل على الاعتراف

---

(٢) التأريخ: ج ٢ ص ٩٣.

(٣) الغدير في الكتاب والسنة والأدب.

(٤) تلخيص الشافي: ج ٢ ص ٥٦ - X ٧.

(٥) مروج الذهب: ج ٢ ص ٢٣١.

بإمامته، ثم أن أبا ذر وسلمان قالا بالآراء المذكورة قبل أن يتولى على رئاسة المسلمين السياسية لأنهما لم يدركا خلافته. فهما والحالة هذه من أشهر المعتقدين بالتشيع الروحي لعلي.

ومن الأدلة على ظهور التشيع السياسي في خلافة علي هو أن اصطلاح (شيعة على) أي أنصاره بقي شائع الاستعمال. وكان الاصطلاح المذكور يعني الحزب أو المناصرين. وذات مرة دخل علي (ع) على عائشة في البصرة ومعه شيعته من همدان. (١) ولعل ذلك يعود إلى أن عليا بويع خليفة للمسلمين، بما فيهم شيعته. وكان الذين أسهموا في حروبه مع خصومه يتكونون من شيعته ومن غيرهم.

يضاف إلى ذلك أن عليا أثناء خلافته كان يستعمل غالبا كلمة (مسلمين) بدلا من (شيعة) حين يخاطب أنصاره وذلك لوجود مسلمين بينهم من غير شيعته.

أما رأي المفكر الإسلامي الكبير السيد محمد باقر الصدر بهذا الصدد، فالتشيع إذن لا يمكن أن يتجزأ إلا إذا فقد معناه كأطروحة لحماية مستقبل الدعوة بعد النبي وهو مستقبل بحاجة إلى المرجعية الفكرية والزعامة السياسية للتجربة الإسلامية معا. وقد كان هناك ولاء واسع النطاق للإمام علي في صفوف المسلمين باعتباره الشخص الجدير بمواصلة دور الخلفاء الثلاثة في الحكم وهذا الولاء هو الذي جاء به إلى السلطة عقيب مقتل عثمان ولكن هذا الولاء ليس تشيعا روحيا ولا سياسيا وإنما التشيع الروحي والسياسي داخل إطاره فلا يمكن أن نعتبره مثالا على التشيع المجزأ.

كما أن الإمام كان يتمتع بولاء روحي وفكري من عدد من كبار

---

(١) نفس المصدر: ج ٢ ص ٣٧٧.

الصحابة في عهد أبي بكر وعمر من قبيل سلمان وأبي ذر وعمار وغيرهم ولكن هذا لا يعني أيضا تشيعا روحيا منفصلا عن الجانب السياسي بل أنه تعبير عن إيمان أولئك الصحابة بقيادة الإمام علي للدعوة بعد وفاة النبي فكريا وسياسيا وقد انعكس إيمانهم بالجانب الفكري من هذه القيادة بالولاء الروحي المتقدم وانعكس إيمانهم بالجانب السياسي منها بمعارضتهم لخلافة أبي بكر وللاتجاه الذي أدى إلى صرف السلطة عن الإمام إلى غيره. (٢)

هذه هي الأقوال والآراء التي تداولها الكتاب في تعليل (نشأة التشيع)، وفي مقابلها يرى الشيعة منذ أقدم عصورهم أن التشيع بمحتواه الشيعي وبما لهذه الكلمة من دلالة عند الشيعة أصيل أصالة الإسلام وجزء من محتواه، وهو ليس كغيره من الطوائف والفرق الطارئة التي كانت وليدة ظروف وأحداث معينة كما أحصتها المؤلفات في الفرق الإسلامية ومجاميع التاريخ، وهو يعني فيما يعينه اختيار علي (ع) لقيادة الأمة بعد النبي (ص) لإتمام المسيرة التي قطع منها أشواطا بعيدة لبناء الإسلام، وكانت بذرته الأولى يوم هتف النبي (ص) بكلمة التوحيد وأنزل الله عليه الآية (وأنذر عشيرتك الأقربين)، فدعا يومذاك عشيرته وجمعهم على طعام أعده لهم وهتف فيهم قائلا (أيكم يؤازرني على هذا الأمر ليكون أخي ووارثي ووصيي وخليفتي فيكم بعدي).

وظل طيلة حياته يستغل الفرص والمناسبات ليؤكد هذا الأمر وينوه بفضل علي ومقامه الرفيع حتى لا يدع مجالا أو حجة لطامع فيها.

---

(٢) تاريخ الإمامية: (المقدمة).

الفصل الخامس
أقطاب التشيع
١ - سلمان الفارسي: التأريخ العربي بكل هوياته وميوله.
والتاريخ الإسلامي مجمعان على أن سلمان (رض) شخصية إسلامية بارزة وأنه من كبار أصحاب رسول الله (ص) وله مقام رفيع وجاء ذكره في حوادث كثيرة كبرى عند المسلمين وغير المسلمين بل وعند الغربيين ممن تعرض منهم للحوادث الإسلامية مما لا يتسع المقام لسردها. فسلمان الفارسي أبو عبد الله يقال أنه مولى رسول الله (ص) ويعرف (بسلمان الخير) أصله من (رام هرمز) قرية يقال لها (جى) ويقال: بل كان أصله من أصبهان. (١)
مولده ووفاته: لم نقف على تأريخ لمولد سلمان في كل ما تحصل لدينا ووجدنا السبيل إليه من مصادر أشارت إليه إجمالا أو تفصيلا. وأول ما يذكر في هذا الصدد، أن العرب لم تعرف التأريخ إلا

---

(١) الإستيعاب: هامش الإصابة، ج ٢ ص ٥٣.

بعد الهجرة، وكانت تؤرخ (بعام الفيل) وهو العام الذي كان فيه مولد النبي (ص)، كما أرخت بيوم (ذي قار) على أنه حدث ذو بال.
ورغب سعد بن أبي وقاص إلى عمر بن الخطاب أن يؤرخ بوفاة الرسول (ص)، ولكن الإمام علي بن أبي طالب (ع) طلب التأريخ بالهجرة لأنها فرقت بين الحق والباطل. وقيل: إنه قدم المدينة وليس للعرب تأريخ، فكانوا يؤرخون بالشهر والشهرين من مقدمه. ودامت الحال على ذلك إلى أن توفي (ص) وانقطع التأريخ.
ثم ولت أيام أبي بكر كلها وأربعة أعوام من أيام عمر. قيل: إن عمر جمع الصحابة وقال لهم: إن الأموال كثرت فكيف التوصل إلى ما يمكن ضبطه. فقال له الهرمز إن ملك الأهواز الذي أسر عند فتح فارس وحمل إلى عمر وأسلم إن للعجم حسابا يسمونه (ماه روز) بمؤرخ. وجعلوه مصدرا لتأريخهم، بعد أن علمهم الهرمز إن كيف يستعملون ذلك.
فقال عمر: ضعوا للناس تأريخا. (١)
وهذا صريح الدلالة على أن من ترجموا لسلمان من العرب والفرس لم يعرفوا لمولده تأريخا. ونضيف إلى ذلك قولنا: إن الاهتمام بالتأريخ مما لا نكاد نتبينه عند الفرس قبل الإسلام، فلا علم لنا بكتاب تأريخي لديهم بتمام المعنى. ونقوشهم لا تعدوا أن تكون نصوصا تمجد أعمال ملوكهم ولها طابع العام من التقارير.
ويستدل من ذلك على أن الفرس لم يلقوا جانبا من اهتمامهم إلى تعيين تواريخ الأحداث، وبالتالي كان الأولى بهم ألا يرغبوا في وضع تأريخ ميلاد لأحد من سواد الناس. وأي عجب في ذلك بعد أن نسوا أو تناسوا ذلك بالنسبة لملوكهم.

---

(١) الإعلان بالتوبيخ لمن ذم التأريخ: ص ٨٠ - ٨١.

ولما أسس (أردشير) الدولة الساسانية، شاع في البلاد أن تلك الدولة ستدول وتزول بعد ألف عام من عهد (زرادشت)، ورأى (أردشير) أن يواجه هذا بطرح خمسمائة عام وعشرة تفصل بين عصره وعصر الإسكندر، وأمر بطي ذكر من عاش في تلك الفترة من ملوك. وأعلن في مملكته أن مائتين وستين عاما تفصل بين عهده وعهد الإسكندر. ومثل هذا الخبر يؤيد ما ذهبنا إليه وذكرناه من ناحيتين.

أولهما: أن الفرس الأقدمين لم يعرفوا التاريخ،

والأخرى: أنهم كانوا يلتفتون إلى الأحداث العامة التي تتعلق بشؤون ملوكهم، وهم حتى في ذلك لم يلتزموا دقة التعيين. فلا بدع بعد هذا كله أن يغيب عنا تاريخ ميلاد سلمان ويضيع منا بين الفرس والعرب على سواء.

وقالوا فيه: إنه عمرا طويلا، فمن قائل: إنه أدرك وصي عيسى بن مريم أو حتى عيسى (ع) (١)، وقائل: إنه عاش ثلاثمائة وخمسين سنة أو مائتين وخمسين سنة وهذا ما لا شك فيه. (٢)

ولقد أجمعت المصادر القديمة وما نقل عنها من مصادر حديثة أنه توفي عام (٣٥ أو ٣٦) من الهجرة في خلافة عثمان بن عفان بالمدائن. والتاريخ الأول هو الذي قتل فيه عثمان، غير أن مصدرا قديما ظهر في القرن الثامن الهجري يحدد وفاته بسنة سبع وعشرين وهذا لا يدخل في عهد عثمان، وإن خرج على المشهور. (٣)

كما جاء في (أسد الغابة): وقيل توفي في خلافة عمرو الأول أكثر. (٤)

---

(١) الإصابة في تمييز الصحابة: ج ٢ ص ٦٠.

(٢) روضات الجنات: ص ٤ (إيران - ١٣٦٧ ه).

(٣) تاريخ گزيده: ص ١٣١ (إيران - ١٣٣٩ ه).

(٤) أسد الغابة: ج ١٣ ص ٤٢١ (القاهرة - ١٩٧١ م).

فابن الأثير يتحفظ ويرجع رواية على أخرى، مما يلزم معه طرح الرواية الأخيرة التي تجعل وفاته في عهد عمر.
ورواية حمد الله مستوفى التي لم يذكر سواها ولم يقدم من الأسانيد ما يؤيدها.
ونحن بذلك نواجه ثلاثة تواريخ لوفاة سلمان، كما واجهنا قبل اختلاف المصادر على ثلاثة أقوال فيما يتعلق بعدد الأعوام التي عاشها.
حياة سلمان قبل الإسلام: ليس لدينا من المصادر ما ينبئنا عن حياته ونشأته الفارسية إلا أنا عرفنا من قبل أنه انسل من المجوسية – دين آبائه وأجداده – ولم نره حمل شيئا من تعاليم المجوسية ونزعاتها ولا شيئا من أخلاق قومه وعاداتهم وكان يسمع بأن النبي (ص) سيبعث فخرج في طلب ذلك فاسر وبيع بالمدينة..
وأشار الشيخ المحدث المتتبع الصدوق في كتابه (إكمال الدين): إن سلمان ما سجد قط لمطلع الشمس إنما كان يسجد لله عز وجل وكانت القبلة التي أمر بالصلاة إليها شرقية وكان أبواه يظنان أنه إنما يسجد للشمس كهيئتهم.
وأضاف: وكان ممن ضرب في الأرض لطلب الحجة سلمان الفارسي، فلم يزل ينتقل من عالم إلى عالم، ومن فقيه إلى فقيه، ويبحث عن الأسرار ويستدل بالأخبار منتظرا لقيام القائم سيد الأولين والآخرين محمد (ص).
فسلمان (رض) يضرب في الأرض متنقلا من بلد إلى بلد ومن مصر إلى مصر متحملا عناء السفر ومشقة الطريق وبعد المسافة وشظف العيش وقلة الزاد وبالأخير ظلم الإنسان والاستعباد والاسترقاق والتنقل من خدمة سيد إلى خدمة آخر وهو من أبناء ملوك

فارس أو أساورتهم.
وهل كان تحمل هذا البؤس والشقاء والتعب والعناء عن إرشاد نبي بعث لهذا الفارسي خاصة؟ كلا وألف كلا.. لم يكن شئ من ذلك وإنما عقله الملهم رفعه عن أوهام الناس وأنار سبيله إلى الله وأرشده إلى الحق وهداه النجدين وعرفه عظمة الخالق وقدرة المصور وسمو المبدع وجلال المدبر.
ترك تلك الأجسام الجامدة عاكفة على عبادة النار من دون الواحد القهار، أفلا يسوغ لنا بعد هذا أن نقول بجزم: إنا قد أعطينا صورة واضحة للقارئ الكريم تبين منها حال سلمان (رض) وتبين له منها أنه لم يكن مجوسيا ولا مخلصا للمجوسية ولم يعبد النار ولم يسجد للشمس؟
وإنما كانت نفسه مطمئنة بربها وقلبه ملئ بالإيمان وهو يسير نحو الحق يطلبه ولا يحدو عنه. والدليل على ما ذهبنا إليه ما جاء في كتاب (الإستيعاب): وكان سلمان يطلب دين الله ويتبع من يرجو ذلك عنده، فدان بالنصرانية وقرأ الكتب وصبر في ذلك على مشقات..
إسلام سلمان: كان إسلامه سنة إحدى من الهجرة: ولقد عز بالإسلام كما عز الإسلام به، وكان إذا قيل له: ابن من أنت؟ قال: أنا سلمان بن الإسلام من بني آدم.
وقد روى من وجوه أن رسول الله (ص) اشتراه على العتق، ويقول حمد الله مستوفى: إن النبي (ص) افتدى سلمان من عثمان بن أشهل اليهودي بأربعين أوقية من الذهب وثلاثمائة من النخيل.
كما أورد نص العهد الذي كتبه علي بن أبي طالب (ع) وهو (بسم الله الرحمن الرحيم: هذا ما أفدى به محمد بن عبد الله لسلمان الفارسي من عثمان بن الأشهل اليهودي ثم القرظي القرشي على ثلاثمائة نخلة وأربعين أوقية

من ذهب تفدية محمد بن عبد الله لثمن سلمان الفارسي وولائه لمحمد بن عبد الله وأهل بيته، ولا سبيل لأحد على سلمان. شهد على ذلك علي بن أبي طالب، وحذيفة بن اليمان، وأبو الدرداء، وأبو ذر الغفاري، والمقداد بن الأسود، وبلال مولى أبي بكر، وعبد الرحمن، وكتب علي بن أبي طالب في جمادى الأولى من هجرة محمد). (١)

ويقول الخطيب البغدادي في (تأريخه): أسلم في السنة الأولى من الهجرة وكان قبل ذلك مسترقا من اليهود قبضوا عليه قادما إلى النبي (ص) فكاتبهم (ص) وأدى كتابته وعتقه، ولم يزل ملازما له حتى توفي (ص) ولما غزا المسلمون العراق خرج معهم وحضر فتح المدائن، ونزلها حتى توفي بها في خلافة عثمان. وقبره الآن معروف بقرب (إيوان كسرى)، وكان من المعمرين قيل: إنه أدرك وصي عيسى (ع) وأدرك علم الأول والآخر، وقرأ الكتابين.

وفي معرض تناولنا للموضوع لا يفوتنا أن سلمان (رض) أتى إلى رسول الله (ص) بصدقة فقال: هذه صدقة عليك وعلى أصحابك. فقال (ص): (سلمان! إنا أهل بيت لا تحل علينا الصدقة) فرفعها ثم جاءه من الغد بمثلها فقال: هذه هدية. فقال (ص) لأصحابه: (كلوا)... (٢)

لقد شرف سلمان (رض) بالإسلام، كما كان من محاسن الدين الحنيف التي تذكر به لأنه تعلق منها بالصلة الوثقى، وحسبنا أنه دخل يوما مجلس رسول الله (ص)، وإذا في المجلس عظماء قريش، ولكنه تخطاهم واتخذ مقعده في صدر المجلس. فأسخطهم هذا من أمره وقال

---

(١) تاريخ گزيده: ص ٢٢.

(٢) الإستيعاب: هامش الإصابة، ج ٢ ص ٥٣.

له قائلهم: من أنت حتى تتخاطنا. وقال آخر: ما حسبك ونسبك؟ فما كان من سلمان إلا أن رد رده المنيف قائلا: أنا سلمان بن الإسلام، كنت عبدا فأعتقني الله بمحمد، ووضيعا فرفعني بمحمد، وفقيرا فأغناني بمحمد فهذا حسبي ونسبي.

فقال (ص): (صدق سلمان، من أراد أن ينظر إلى رجل نور الله قلبه بالإيمان فلينظر إلى سلمان) (١). كما انتسب إلى نبي الإسلام.

ويعد سلمان خيرة الله من صحابة الرسول (ص) غير مدافع ولا منازع، فما نكاد نعرف من كانت له مثل حظوته عنده، ولا من بلغ من رفعه القدر في نفسه شبه ما بلغ، ولا من ألقى إليه اهتماما نحو ما ألقى إليه، فانفرد عن الأشباه وتميز بما لم يتميز به سواه. ولقد وقره (ص) وأجل شأنه وبسط له من جناح مودته. والكلام في هذا يطول ويطول، ولا غرو فهو من كبار الأصحاب الكرام.

قالوا في سلمان

١ - يروى عنه (ص): (إن الله حبب إليه أربعة)، فسأله السائلون من يكونون. وبعد أن كرروا عليه السؤال ثلاث مرات قال: (إن أولهم علي والآخرون: أبو ذر والمقداد وسلمان).

وروى عنه (ص) أنه قال: (ثلاثة تشتاق إليهم الحور العين، علي وسلمان سابق أهل الفرس).

وعنه أيضا: سمعت رسول الله (ص) يقول: (إن الجنة تشتاق إلى أربعة علي وسلمان وعمار والمقداد) (٢).

---

(١) الإحتجاج: ص ١٥٠ (النجف - ١٩٦٥ م)

(٢) نفس المصدر والصفحة.

٢ – وروى شيخ الطائفة المفيد محمد بن محمد النعمان بطريقة عن ابن نباتة قال: سألت أمير المؤمنين عليا (ع) عن سلمان الفارسي وقلت ما تقول فيه فقال (ع): (ما أقول في رجل خلق من طينتنا، وروحه مقرونة بروحنا، خصه الله تعالى من العلوم بأولها وآخرها وظاهرها وباطنها وسرها وعلانيتها).

وفي الشعر إذاعة لمناقب سلمان وإشاعة لمحامده ومفاخرها.

وأول ما نذكره بيتان ينسبان إلى أمير المؤمنين علي (ع). وإذا خص سلمان بشعر قال فيه، فقد علا به إلى منزلة لا تدانيها منزلة.

لعمرك ما الإنسان إلا بدينه * فلا تترك التقوى اتكالا على النسب

لقد رفع الإسلام سلمان فارس * وقد وضع الشرك الشريف أبا لهب

فهذان البيتان خير وصف لمكانة سلمان في الدين التي ليس وراءها مكانة، وهما يوضحان كيف كان (رض) منظورا إليه فيه كما يدرك منهما أنه مع أبي لهب على طرفي نقيض، وأبو لهب رأس الكفر في صريح القرآن، وهذا ما يلزم منه أن يكون سلمان في التقوى مضربا للمثل.

٣ – ورد عن الإمام أبي جعفر محمد الباقر (ع) عندما ذكر سلمان الفارسي عنده أنه قال: (لا تقولوا سلمان الفارسي ولكن قولوا سلمان المحمدي، ذلك من أهل البيت).

٤ – وقال قائل للصادق (ع): ما أكثر ما أسمع منك يا سيدي! ذكر سلمان الفارسي فقال (ع): (لا تقل: سلمان الفارسي ولكن قل: سلمان المحمدي. أتدري ما كثرة ذكرى له)؟ قلت: لا. قال (ع): (لثلاث خلال إحداهما – إيثاره هو أمير المؤمنين علي (ع) على هوى نفسه. الثانية – حبه للفقراء واختياره إياهم على أهل الثروة والعدد. والثالثة – حبه للعلم والعلماء وأن سلمان كان عبدا صادقا حنيفا مسلما) (١).

---

(١) عبد المنعم الكاظمي: (على)، ج ٨ ص ١٥١ (بغداد – ١٩٦٧ م).

٥ – ومما يسمو بمنزلة سلمان (رض) قول الإمام الكاظم (ع): (إذا كان يوم القيامة، ينادي مناد: أين حواري محمد بن عبد الله (ص) الذين لم ينقضوا العهد ومضوا عليه؟ فيقوم سلمان والمقداد وأبو ذر) (٢).
٦ – وعن عائشة قالت: كان لسلمان مجلس من رسول الله (ص) يتفرد بالليل حتى كاد يغلبنا على رسول الله (ص).
٧ – كما روي عن أبي هريرة أنه قال: كان سلمان صاحب الكتابين، يعني الإنجيل والفرقان (٣).

تشيع سلمان:

إن منزلة سلمان عند الشيعة أخص منها عند أهل السنة، ولا غرو فقد كان بينه وبين أمير المؤمنين علي (ع) من قوة الأواصر ما يدعو إلى انفراده بأسمى مكانة وأعز مرتبة. وإذا ذكرنا التبعية وما لها من أثر فلنذكر بسلمان عليا والنبي جميعا.

قيل: إن أبا بكر وعليا جاءا يزوران قبر النبي (ص) بعد وفاته بستة أيام، فقال علي (ع) لأبي بكر: تقدم، فقال أبو بكر: ما كنت لأتقدم رجلا سمعت رسول الله (ص) يقول عنه (علي مني بمنزلتي من ربي) أخرجه ابن السمان في الموافقة (٤).

ولقد أعاد السلطان مراد الرابع لعثماني بناء قبر سلمان عام (١٦٢٣ م) (٥). وهذا دليل على منزلته عند أهل السنة، فسلطان العثمانيين

---

(٢) عبد المجيد الحائري: (أبو ذر الغفاري)، ص ١٨ (النجف – ١٩٦٨ م).
(٣) الإستيعاب: ج ٢ ص ٥٧ (القاهرة – ١٩٥٣ م).
(٤) الرياض النضرة في مناقب العشرة: ج ٢ ص ١٦٣.
(٥) (١٩٣٤ paris) encyclopedie del Islam: dellavida – ١

كانت له الرياسة الروحية الرمزية على العالم السني. فبناءه قبر سلمان إجلالا لذكراه، لفتة دينية لها عميق مغزاها، وهي تؤكد اشتراك المسلمين (السنة والشيعة) في الاعلاء من شأن سلمان (رض)، والتقائهما في صنيع واحد هو اعتزازهما بهذا التقي النقي صاحب المكانة التي لا تدانيها مكانة في الصميم في قلوب المسلمين واجتماعهم على محبته وإجلاله والتماس بركته مظهر من مظاهر وحدتهم. فقبره مزار الشيعة يزورونه منصرفهم من كربلاء.

وسلمان الصحابي عند أهل السنة لا يبلغ مبلغه من منزلته عند الشيعة، لأنه لديهم أول الأركان الأربعة: وهم سلمان، وأبو ذر، والمقداد، وعمار بن ياسر، وقد نص أبو حاتم الرازي على تشيعه في سلمان (رض) سماه (نفس الرحمن في أحوال سلمان). وسلمان (رض) هو أحد الذين اعترضوا على الخليفة الأول توليه خلافة المسلمين وخاطبه وأعذره: (يا أبا بكر إلى من تسند أمرك إذا نزل بك القضاء وإلى من تفزع إذا سئلت عما لا تعلم ومن القوم من هو أعلم منك وأقرب من رسول الله (ص) قرابة وقدمه في حياته قد أوعز إليكم وتركتم أمره وتناسيتم وصيته فعما قليل يصفو إليكم الأمر حين تزوروا القبور وقد أثقلت ظهرك في الأوزار لو حملت إلى قبرك لندمت على ما قدمت ولو راجعت الحق وأنصفت أهله لكان ذلك نجاة لك يوم تحتاج إلى عملك وتفرد في حفرتك بذنوبك عما أنت له فاعل وقد سمعت كما سمعنا ورأيت كما رأينا فلم يردعك ذلك عما أنت له فاعل فالله الله في نفسك فقد أعذر من أنذر) (١)

ولذلك استنكر الجاحظ من سلمان (٢) أن يقول: (كردند

---

(١) خصال الصدوق: ج ٢ ص ٢٣١.

(٢) سلمان الفارسي: للكاتب البارع الشيخ عبد الله السبيتي.

ونكردند) أي صنعوا وما صنعوا حين وقع الاختيار على أبي بكر.
فقال: إن سلمان من عرض المسلمين ولا يجوز أن يكون مع الأكفاء وفي الشورى فينتقض به أمر أو يبرم. ثم علل هذا من رأيه بأن سلمان ليس من المهاجرين، ولم يشاهد أحدا ولا بدرا، ولا لقي ما لقي بلال، وصهيب، وخباب، وعمار، ولا من نصروا وآووا، ولا ذكروا في كتاب الله المجيد وقدموا (٣).
ولو تدبرنا كلام الجاحظ، لقطعنا بأنه معاند لإجماع يعرفه الناس قاطبة. ونبدأ أول ما نبدأ بقوله: إن سلمان من عرض المسلمين: أي عامتهم. وما لا جدال فيه أن سلمان ذو نسب في الأسرياء الشرفاء عريق. ففي سيرته أنه ابن دهقان، والدهقان رئيس الإقليم عند الفرس، وقد تقلب في أعطاف النعيم وهو طفل وقام لأبيه على أمر ضيعته.
وحسبنا هذا أمارة تنفى عنه أنه كان من الدهماء أما أن يقع في الأسر منصرفه من الشام ثم يباع عبدا لرجل من يهود، فليس مما يغض منه، وتعرضه لغارة الشذاذ عليه واستعبادهم له، لا يمكن أن ينفى عنه كونه الحسيب النسيب، وهذا من حاله يشبه ما وقع ليوسف (عليه السلام) فقد وقع في الأسر وبيع في مصر، وما ضره هذا ولا عابه.
أما بعد وفوده على الرسول (ص) وإسلامه، فليس من ريب في أنه بين العرب كان سيد السادات وأمثل القوم، عظيم الشأن بدينه جليل القدر بعلمه، وذلك ما أهله من بعد ليكون واليا على المدائن.
ومما عرفناه وتيقنا صحته أنه لم يشهد بدرا ولا أحدا، ولكن ذلك لم يفته إلا لمانع من الرق، فصح عزمه على أن يكاتب ليعتق، ليخوض الغمرات مع المسلمين ويعز الحق والدين، وتلك مكرمة له لا تنسى ومحمدة لا تجحد.

---

(٣) العثمانية: ص ١٧٧ - ١٧٨ (القاهرة).

والفرق بعيد بينه وبين من وجدوا الأسباب وافرة مهيأة، كالفرق بين من يجد الشئ في يسر، ومن يوجده ويتطلب إليه الذرائع مزاولا منه أمرا صعبا.

أما إن كان غيره قد أوى، فهذا فضل وشرف له. ولكن لسلمان من الفضل كثير لا يضيع في متاهة النسيان، وليس لقائل أن يقول: إن ميزان سلمان قد شال لأنه لم يكن من الذين آووا.

وما الذي يذهلنا عما يعرفه المسلمون في جميع الأعصار والأمصار وهو فضل سلمان في غزوة (الخندق)، وانتصار المسلمين بمسعاه، وما كان من تنافس العرب فيه، حتى قال المهاجرون: سلمان منا، كما قالت الأنصار هو منا ونحن إخوته، يريدون أنه بعد تطوافه وضربه في الأرض نزل بهم. ثم قال الرسول (ص): (سلمان منا أهل البيت).

ثم يوالي الجاحظ إدلائه في سلمان فيقول: إنه كان حديث الإسلام قليل المشاهد، وما أسلم إلا حين انحسرت الشدة وانكشف معظم الكربة ولكنه يبادر إلى القول إنه كان عند النبي (ص) وجيها وقال (ص) فيه قولا حسنا، كما أنه كان عند الخلفاء مقربا ويفسر الغرض من كلامه بقوله: أن سلمان ليس من الأكفاء في الإمامة ولا موضع الشورى والخلافة، ليكون قوله في ذلك حجة يؤخذ بها فتنتقض بها الإمامة وتصرف الخلافة (١).

ولقد أحطنا في شمول بمشاعره وخواطره الدينية قبل أن ينضح الله بالإسلام على قلبه فيض اليقين، ونحن نجد منها مصداقا لما فسر به الشريف المرتضى معنى ما رواه أبو هريرة عن النبي (ص) من قوله: (كل مولود يولد على الفطرة حتى يكون أبواه يهودانه أو ينصرانه) (٢)

---

(١) نفس المصدر: ص ١٧٨.

(٢) أمالي الشريف المرتضى: ج ٤ ص ٢ و ٣ و ٤ (القاهرة - ١٩٠٧ م).

فقال: إن كل مولود يولد للدين ومن أجل الدين، فما خلق الله المكلفين إلا ليعبدوه ويشهد بذلك قوله تعالى: (وما خلقنا الجن والإنس إلا ليعبدون)

فاجتهاد سلمان في الدين خارق للعادة ما في ذلك شك. وهو خارج على كل معروف ومألوف، لأنه لا يتلقى دينه تلقينا ولا يرثه إرثا، بل يتبصر فيه ويتأمله تأملا مليا. وما ضر لو سكن أرضا بمنأى عن مهد الإسلام وماج حوله ما ماج من حوادث، وبذلك لم يشهد ما شهد غيره من شدائد ولا كابد ما كابدوا من جهد، وهو الذي ما كان ليرغب بنفسه عما قاساه المسلمون الأولون وصاروا إليه.

ولا نرى وجها للغض من فضله بتفضيل غيره عليه في أمور لا رأي له ولهم في توجيه مجراها، لا سلطان لأحد عليها.

أما ألا يكون قوله حجة فحكم لا نميل إليه فليس من ينكر أن سلمان في العلم أوحد زمانه، ولا من ينسى أو يتناسى ما أجرى عليه النبي (ص) من صفات، ولا من يجحد أنه كان صاحب مشورة أهل البيت (ع) ومن يرجع إليه في المشكلات.

وفي بداءة العقول أن من يتعصب لأحد يتعصب على من يضاده، ولكن لا بد من القصد والوقوف عند حد، لأن مسخ الحقيقة عن عمد يعكس الغرض من مسخها، وواقع الأمر أنه يبديها ولا يخفيها.

ويتابع الجاحظ كلامه عن سلمان ليقول: إنه ولي على المدائن لعمر مطيعا غير مكره، وهذا من الدليل على تصويب أبي بكر، لأن مطيع عمر مذعن لأبي بكر، ومعظمه أشد تعظيما لأبي بكر.

وهذا ما نتردد طويلا في فهمه، ونحن لا ندرك من ولاية سلمان على المدائن ما يدركه الجاحظ، لأن سلمان إنما كان واليا لدولة المسلمين لا لخليفتهم، وأنجز ما أنجز من جلال الأعمال حبه ورغبة منه في نفع المسلمين، لا يرهبه سلطان، فما جار عن القصد ولا انحرف

عن الصواب، ولم يعلن بذلك عن ولائه لعمر. بل على العكس، رأيناه وهو واليه على المدائن يشدد النكير عليه حين يكتب إليه، أما تعظيمه وإذعانه له ولأبي بكر بالتالي فبعيد الاحتمال، بعد أن عرفنا ما نشب من خلاف بينه وبين عمر على الخصوص.

هذا وقد حدثنا عنه الرواة الثقات أنه قال:... فعليكم بال محمد فإنهم القادة إلى الجنة والدعاة إليها يوم القيامة وعليكم بعلي (ع) فوالله لقد سلمنا عليه بالولاية مع نبينا (ص).. فأمر هذه الأمة كأمة بني إسرائيل فأين يذهب بكم؟ فأين أنا وفلان وفلان؟ ويحكم ما أدري أتجهلون أم تتجاهلون؟ أم نسيتم أم تتناسون؟! أنزلوا آل محمد منكم منزلة الرأس من الجسد بل منزلة العين من الرأس..

وعن المسيب بن نجية الفزاري قال: لما أتانا سلمان الفارسي فتلقيته ممن تلقاه فسار حتى انتهى إلى (كربلاء) فقال: ما يسمون هذه؟ قالوا: كربلاء فقال: هذه مصارع إخواني. هذا موضع رحالهم، هذا مناخ ركابهم، وهذا مهراق دمائهم. قتل بها خير الأولين ويقتل بها خير الآخرين.

ثم سار حتى انتهى إلى (حروراء)، فقال: ما تسمون هذه الأرض؟ قالوا: حروراء. فقال: حروراء يخرج بها شر الأولين ويخرج بها شر الآخرين.

ثم سار حتى انتهى إلى (بانقيا) وبها جسر الكوفة الأول قال: ما تسمون هذه؟ قالوا: بانقيا.

ثم سار حتى انتهى إلى (الكوفة). فقال: هذه الكوفة؟ قالوا: نعم قال: قبة الإسلام.

وسلمان خطب إلى عمر ابنته، فرده عمر، فقال له سلمان: أردت أن أعلم هل ذهبت الحمية الجاهلية من قبلك، أم هي كما هي؟

ختام البحث
لم يحدثنا التأريخ عن مواقف سلمان الحربية فهو يفيض في ناحية ويهمل ناحية أخرى، مثلا نرى كتب (الطبقات) و (السير) تكثر من روايات عطاء سلمان وأنه كان ستة آلاف، وخمسة آلاف وأربعة آلاف، وأنه إذا خرج يتصدق به على الفقراء ولكنها تهمل ناحية مواقفه الحربية فلا نكاد نلمس شيئا من ذلك كأنه لم يكن رجلا ذو بأس وشجاعة وكأنه لم يمارس الحرب ولم يقل كنا بفارس إذا حوصرنا خندقنا.
أهمل كل ذلك فلم يسمع ولم ير. حتى قال أبو سفيان وأصحابه في حفر الخندق: هذه مكيدة ما كانت العرب تكيدها (١)
وذهب جماعة من المسلمين إلى أن سلمان لم يتزوج أعراضا عن نعيم الدنيا ولذتها. ونحن لا نستطيع أن نتقبل هذا الرأي الذي لم يرتكز على حقيقة تأريخية بعد أن وجدنا أن الزواج قانونا اجتماعيا حث الشارع الأقدس عليه وحرم الرهبانية الممقوتة. وقد جاء في كتاب (رجال الكشي) بسنده عن أبي عبد الله الصادق (ع) أنه قال: (تزوج سلمان امرأة من كندة).
وهذا إثبات من أن سلمان لم يتبتل وكانت له صلة عائلية.
أما ذريته، فإن صاحب كتاب (مهج الدعوات) يروي حديث (تحفة الجنة) متصلا بسنده بعبد الله بن سلمان الفارسي وكذلك رأينا الشيخ منتجب الدين يذكر في (فهرسه)، الشيخ بدر الدين الحسن بن علي بسلسلة طويلة من الآباء تنتهي بمحمد بن سلمان الفارسي.

---

(١) الإستيعاب: هامش الإصابة، ج ٢ ص ٥٣.

وذكر معمر عن رجل من أصحابه أنه قال: دخل قوم على سلمان وهو أمير على المدائن وهو يعمل الخوص فقيل له: تعمل هذا وأنت أمير. فقال: إني أحب أن آكل من عمل يدي وذكر أنه تعلم عمل الخوص بالمدينة من الأنصار عند بعض مواليه. (١)

أجل، ومع أنه كان قادرا على التنعم بملاذ الدنيا، فهو يتركه زهدا وتعففا ومواساة للفقراء، لست أريد أن أذهب إلى الروايات المختلفة التي تنتهي كلها إلى معنى واحد، وحقيقة واحدة وهي أن زهد سلمان (رض) كان مثالا فذا. وكأنما هو قد اتخذ قول أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (ع) شعارا: (والله لأن أبيت على حسك السعدان مسهدا أو أجر في الأغلال مصفدا أحب إلى من أن ألقى الله ورسوله يوم القيامة ظالما لبعض العباد، غاضبا لشئ من الحطام، وكيف أظلم أحدا، لنفس يسرع إلى البلى قفولها، ويطول في الثرى حؤولها، والله لو أعطيت الأقاليم السبعة بما تحت أفلاكها على أن أعصى الله في نملة أسلبها جلب شعيرة ما فعلت. ما لعلي ونعيم يفنى ولذة لا تبقى؟!)

أجل يعمل الخوص بيده وهو أمير على المدائن فهذه المحاسبة الدقيقة للنفس تدل على رجل وزن الدنيا بميزان أسمى من موازين البشر واعتباراتهم فأعرض عنها إعراض رجل رأى نفسه أسمى من الحياة ومن توافه الوجود التي يتهارش عليها الناس، سما فوق دنياه وهو قادر على أن يمد يده لما يشتهي وهذا هو الزهد في أعلى مراتبه وأشرف منازله!

ومن حيث كان الدين والعلم مجتمعين لسلمان على وصف الكمال، كان لسلمان الفتيا على عهد الرسول (ص) فبين للمسلمين

---

(١) نفس المصدر.

أحكام دينهم.
ولقد سمى ابن الجوزي من صحابة الرسول على أنهم تصدروا لإفتاء الناس فيما أشكل عليهم من تعاليم الإسلام فبدأ بذكر سلمان (١).
وفي رواية أبي بصير عن أبي عبد الله الصادق (ع) قال: (وكان والله على محدثا وكان سلمان محدثا).
وسلمان أول من جمع حديثا إلى مثله في باب واحد وتحت عنوان واحد من الصحابة الشيعة، ونقول الشيعة لأن في هذا الحين من الدهر أي على عهد الرسول (ص)، كان لفظ الشيعة لقبا لأربعة من الصحابة هم: سلمان وأبو ذر والمقداد وعمار وقد صنف سلمان (حديث الجاثليق). كما قيل: إن أول من صنف في الإسلام علي ثم سلمان ثم أبو ذر (٢).
في المدائن.. وفي علية لها أربعة أبواب.. عظيم من عظماء المسلمين، وأمير من أمراء العدل، وعبقري من العباقرة.. مسجى علي فراش الموت يقول لزوجته: افتحي هذه الأبواب فإن لي اليوم زوارا، لا أدري من أي هذه الأبواب يدخلون على، ثم دعا بمسك له فقال: انضحيه حول فراشي، فإنهم خلق من الله يجدون الريح، ولا يأكلون الطعام - يعني زواره من الملائكة - ثم أجيفي عن الباب وانزلي... قالت: ففعلت وجلست هنيئة، فسمعت هسهسة فصعدت فإذا هو قد مات، وكأنما هو نائم..
والمسك هذا وهبه إياه حبيبه رسول الله (ص) وقيل: أصابه في غزوة (بلنجر) فأدخره لزواره في الساعة الأخيرة وهذا شأن الكرام يدخرون النفائس لضيوفهم (٣).

---

(١) ابن الجوزي: (المدهش) ص ٤٣ (بغداد - ١٣٤٨ ه).
(٢) الشيعة وفنون الإسلام: ص ٢٨ و ٢٩ و X ٣ (صيدا - ١٣٣١ ه).
(٣) سلمان الفارسي: لعبد الله السبيتي.

٢ - أبو ذر الغفاري (٤):
جندب بن جنادة، وقيل اسمه: بربر بن جنادة، وقيل: جندب بن سكن، وقيل السكن بن جنادة ولكن المشهور المتسالم عليه هو جندب بن جنادة، ولا يعرف في كتب التراجم بغير هذا الاسم.
اتسم بأعلى معاني البطولة والشجاعة، في الجاهلية وفي الإسلام.
ففي الجاهلية كان شجاعا بطبعه، بل في طليعة الشجعان المغامرين، فالمعروف عنه أنه كان فارس ليل، لا يعرف معنى الخوف ولا الوجل، يغير على الحي، وعلى القوافل، فيصيب منها، ثم يرجع إلى مقره.
روى ابن سعد في (الطبقات): كان أبو ذر رجلا يصيب في عماية الصبح على ظهر فرسه، أو على قدميه، كأنه السبع، فيطرق الحي ويأخذ ما أخذ. ثم إن الله قذف في قلبه الإسلام (١).
وهذه الرواية لا تنافي كونه كان متعبدا قبل الإسلام، يتأله ويعبد الله وحده. ولا مانع أن يكون أبو ذر متعبدا قبل الإسلام بسنوات، ويفعل بعض هذه الأعمال، ثم انتهى عنها حين نهى الإسلام عنها! إنه لا مانع في ذلك قط، ولا يخل هذا بشرفه ومكانته. هذا، إذا لم نقل بأنه كان يفعل ذلك مع الفئات والقبائل التي تعبد الأصنام، استحلالا منه لذلك. فمن يدري.

---

(٤) الغفاري: بكسر الغين المعجمة وفتح الفاء بعد الألف راء مهملة إلى بني غفار على وزن كتاب وهو غفار بن مليل بن ضمرة بطن من كنانة بن خزيمة بن مدركة بن الياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان.
(١) أعيان الشيعة: ج ١٦ ص ٣٢٠.

وفي (الطبقات الكبرى) لابن سعد: كان أبو ذر يتأله في الجاهلية، ويقول: لا إله إلا الله، ولا يعبد الأصنام. فمر عليه رجل من أهل مكة - بعد ما أوحى إلى النبي (ص) - فقال: (يا أبا ذر! أن رجلا بمكة يقول مثل ما تقول: لا إله إلا الله، ويزعم أنه نبي..) (٢)

أبو ذر رابع الإسلام:

كان أبو ذر (رض) من المبادرين الأول لاعتناق الإسلام حتى قيل: إنه رابع من أسلم، وقيل: خامسهم.

قال في (الإستيعاب): كان إسلام أبي ذر قديما، يقال: بعد ثلاثة، ويقال: بعد أربعة، وقد روى عنه أنه قال: أنا رابع الإسلام، وقيل: كان خامسا (٣)

وقال الواقدي: وأسلم أبو ذر، قالوا: رابعا، أو خامسا (٤).

وتفيد الروايات أن أبا ذر لم يحضر غزوات الرسول (ص) الثلاث بدرا واحدا والخندق. لقد آثر النبي (ص) إيفاده إلى قومه بني غفار، على بقائه معه، لثقة العالية بأنه سينجح في نشر الإسلام بينهم.

والجهاد بالسيف مقرون مع الجهاد في اللسان، بتعليم الناس أحكام دينهم، وتفقيههم بها. بعد تعلمه من رسول الله (ص).

قال تعالى: (وما كان المؤمنون لينفروا كافة فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا في الدين ولينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم لعلهم يحذرون).

وفي غزوة (تبوك) وقف بأبي ذر جمله، فتخلف عليه، فقيل يا رسول الله: تخلف أبو ذر فقال (ص): (يمشي وحده، ويموت وحده،

---

(٢) الغدير: ج ٨ ص ٣٠٨.

(٣) الإستيعاب: حاشية على كتاب الإصابة، ج ١ ص ٢١٣.

(٤) كامل ابن الأثير: ج ٢ ص ٦٠.

ويبعث وحده، ويشهده عصابة من المؤمنين) (١).
فالمقطوع به أنه من السابقين الأولين الذي صدقوا الرسل، وآمنوا بنبوة محمد بن عبد الله (ص).. لقد آمن أبو ذر فنطق بشهادة لا إله إلا الله محمد رسول الله. ودخل في مجموعة الإيمان التي حلت منه محل الأهل والعشيرة والوطن والقبيلة. لقد انصهر في ذلك المجتمع الجديد وأراد أن يتحدى قريش ويعلن في وجهها إسلامه فلذا انطلق إلى مكان اجتماعها وأطلقها صيحة أزعجتهم فقاموا إليه جميعا فأذاقوه الأذى والألم وكادوا يقضون عليه لولا تدخل العباس فألفت أنظارهم إلى أن تجارتهم على طريق غفار فتركوه.
إنه الرجل الذي لزم النبي (ص) فسأله عن كل شئ حتى أجاب الإمام علي (ع) عندما سئل عنه: فقال: (ذلك رجل وعى علما عجز عنه الناس ثم اوكأ فيه فلم يخرج شيئا منه) (٢).
ثم إنه فوق ذلك أعطاه النبي (ص) علامة فارقة يمتاز بها عن جميع الصحابة، أنها اللهجة الصادقة، التي لا يداخلها شك ولا يعتور سبيلها نقض، وكشف عن ذلك النبي بقوله (ص): (ما أظلت الخضراء ولا أقلت الغبراء من ذي لهجة أصدق ولا أوفى من أبي ذر شبيه عيسى بن مريم) (٣).

---

(١) المصدر السابق: ج ٢ ص X ٢٨. ورواه أبو علي المحمودي المروزي في (أماليه)
(٢) الإستيعاب: ج ٢ ص ٦٦٤.
(٣) الإصابة: ج ١ ص ٢١٦. وأخرجه أبو نعيم في (حلية الأولياء) عن زيد بن وهب، وفي رواية (الترمذي) أصدق وأوفى من أبي ذر شبيه عيسى بن مريم، ثم قال عمر بن الخطاب كالحاسد: يا رسول الله! أفنعرف ذلك له، فقال (ص): (نعم، فاعرفوه).

تشيع أبي ذر:
وهو من العلماء الربانيين المشايعين لأمير المؤمنين (ع) في القول والعمل، وهو أول من لقب (بالشيعي) على عهد رسول الله (ص) كما في كتاب (الزينة) لأبي حاتم الرازي وقد تقدم لفظه.
وأحد الذين اعترضوا على أبي بكر توليه الخلافة: يا معشر المهاجرين! لقد علمتم وعلم خياركم أن رسول الله (ص) قال: (الأمر لعلي بعدي ثم للحسن والحسين ثم في أهل بيتي من ولد الحسين) فأطرحتكم قول نبيكم وتناسيتم ما أوعز إليكم واتبعتم الدنيا الفانية وتركتم نعيم الآخرة الباقية التي لا تهدم بنيانها ولا يزول نعيمها ولا يحزن أهلها ولا يموت سكانها وكذلك الأمم التي كفرت بعد أنبيائها بدلت وغيرت فحاذيتموها حذو القذة بالقذة والنعل بالنعل فعما قليل تذوقون وبال أمركم وما الله بظلام للعبيد (١).
وقال الكشي عنه: وهو الهاتف بفضائل أمير المؤمنين (ع) ووصيي رسول الله (ص) واستخلافه إياه.
فقد كان أبو ذر (رض) ممن ثبت على هذا المبدأ، فنافح عنه، ودافع على أكثر من جبهة، وفي عدة مواطن، ودعا المسلمين إليه بكل جرأة وصراحة حتى آخر لحظة من حياته. ففي مكة، كان لسانه يلهج بذلك، وفي المدينة، كما في الشام، وحتى في منفاه الأخير في الربذة، لم يتوان، ولم يتلكأ في تأدية الأمانة، ففي مكة المكرمة، وحول البيت العتيق، مهوى قلوب الملايين من المسلمين ومركز تجمعهم في كل عام، كان أبو ذر يغتنم الفرصة، فيدعو المسلمين، ليحدثهم بما سمع

---

(١) خصال الصدوق: ج ٢ ص ٢٣١.

عن النبي (ص) في حق أهل البيت عامة، وعلي (ع) بصورة خاصة.
فمن ذلك، ما رواه في (المستدرك) أنه قال: سمعت أبا ذر يقول - وهو آخذ بباب الكعبة -: أيها الناس! من عرفني، فأنا من عرفتم، ومن أنكرني! فأنا أبو ذر - سمعت رسول الله (ص) يقول:؟ (ألا إن مثل أهل بيتي فيكم، مثل سفينة نوح في قومه، من ركبها نجا، ومن تخلف عنها غرق) (١).
وفي المدينة المنورة، عاصمة العالم الإسلامي، ومقر الخلافة، كان (رض) يقوم بنفس الدور، على الرغم من المراقبة الشديدة المفروضة من قبل الأمويين ودعاتهم في ذلك الوقت.
وبلغ عثمان أن أبا ذر، يقعد في مسجد رسول الله (ص) ويجتمع إليه الناس، فيحدث بما فيه الطعن عليه، وأنه يقف بباب المسجد، فيقول:... أيها الأمة المتحيرة! أما لو قدمتم من قدم الله، وأخرتم من أخر الله وأقررتم الولاية والوراثة في أهل بيت نبيكم، لأكلتم من فوق رؤوسكم، ومن تحت أقدامكم، ولما عال ولي الله، إلا وجدتم علم ذلك عندهم، من كتاب الله وسنة نبيه فأما إذا فعلتم ما فعلتم فذوقوا وبال أمركم، (وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون..)
وكان يجلس في مسجد الشام فيقول كما كان يقول في المدينة ويجتمع إليه الناس، حتى كثر ممن يجتمع إليه، ويسمع منه (٢) وحتى في الربذة لم يشغله عن إكمال مسيرته.
في (شرح النهج) عن أبي رافع قال: أتيت أبا ذر بالربذة، أودعه. فلما أردت الانصراف، قال لي، ولا ناس معي: ستكون فتنة، فاتقوا الله، وعليكم بالشيخ: علي بن أبي طالب، فاتبعوه.

---

(١) المستدرك: ج ٣ ص X ١٥ - ١٥١.
(٢) تاريخ اليعقوبي: ج ٢ ص ١٧٢.

بين أبي ذر وعثمان:
فسحت خلافة عثمان للعناصر المستغلة أن تظهر على المسرح من جديد وأخذت الرواسب التي كانت في طريق الاستئصال تبرز شيئا بعد شئ واستيقظت مطامع المستغلين الذين حاربوا الإسلام بالأمس وأدى ذلك بالتدريج إلى استيلاء أعداء الإسلام القدامى على الحكم بعد عصر الخلفاء إذ أعلن معاوية من نفسه خليفة للمسلمين بقوة الحديد والنار وكان ذلك أعظم مأساة في تاريخ الإسلام.
لقد جاهر أبو ذر (رض) بمعارضته للولاة والمقربين، وكشف أوراقهم، غير خائف ولا مكترث، وجعل يقول بين الناس، وفي الطرقات، وفي الشوارع: بشر الكانزين بعذاب أليم! ويرفع بذلك صوته، ويتلو قوله تعالى: (والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله فبشرهم بعذاب أليم).
دخل يوما على عثمان فقال له: لا أنعم الله بك يا جنيدب!
فقال أبو ذر: أنا جنيدب وسماني رسول الله (ص) عبد الله فاخترت اسم رسول الله الذي سماني به علي اسمي.
فقال عثمان: أنت تزعم إنا نقول: إن يد الله مغلولة، وأن الله فقير ونحن أغنياء.
فقال أبو ذر: لو كنتم لا تزعمون لأنفقتم مال الله على عباده ولكني أشهد لسمعت رسول الله (ص) يقول (إذا بلغ بنو أبي العاص ثلاثين رجلا جعلوا مال الله دولا وعباد الله خولا ودين الله دخلا.)
ثم أخذ عثمان يقول لأبي ذر: أنت الذي فعلت وفعلت!

فقال أبو ذر: نصحتك فاستغشتني ونصحت صاحبك فاستغشني.
فقال عثمان: كذبت ولكنك تريد الفتنة وتحبها وقد انغلت الشام علينا.
فقال له أبو ذر: اتبع سنة صاحبك لا يكن لأحد عليك كلام.
فقال عثمان: ما لك وذلك لا أم لك.
فقال أبو ذر: والله ما وجدت لي عذرا إلا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر (١).
قال ابن أبي الحديد: ثم إن عثمان أرسل إليه مولى من مواليه: أن انته عما بلغني عنك!
فقال أبو ذر: أينهاني عثمان عن قراءة كتاب الله، وعيب من ترك أمر الله فوالله لئن أرضي الله بسخط عثمان، أحب إلي وخير لي من أن أسخط الله برضا عثمان (٢).
ويلاحظ المتتبع، أن أبا ذر، كان مؤدبا غاية الأدب مع عثمان نفسه، فكان يتحاشى أن يسمعه كلاما يسئ إليه، أو يرد عليه بأجوبة غليظة. بينما نجده لا يتحرج من توجيه الكلام الشديد إلى بطانته وبعض ولاته.
قال عثمان يوما – والناس حوله –: أيجوز للإمام أن يأخذ من المال فإذا أيسر قضى؟ فقال كعب الأحبار: لا بأس بذلك!
فقال أبو ذر: يا بن اليهوديين! أتعلمنا ديننا؟!.
إن صراحة أبي ذر جرت عليه الويلات وسببت له الضرب والبؤس والتشريد. أرسل إليه عثمان مائتي دينار فجاء الرسول وقال له: هذه من عثمان، وهو يقول لك: أنها من صلب ماله ما خالطها حرام.

---

(١) شرح النهج الحديدي: ج ٣ ص ٥٦.
(٢) نفس المصدر: ج ٨ ص ٢٥٦.

فقال له أبو ذر: هل أعطى أحدا من المسلمين مثلما أعطاني؟ قال: كلا، فقال له أبو ذر: اذهب أنت والدرهم، إنما أنا رجل من المسلمين يسعني ما يسعهم ولست في حاجة إلى المال.
فقال له الرسول: أصلحك الله إني لا أرى في بيتك كثيرا ولا قليلا! فرفع أبو ذر الوسادة وأراه قرصين من خبز الشعير، وقال للرسول: بل عندي هذان وإني لغني بهما وثقتي بالله وإيماني بالحق.
لقد امتاز أبو ذر بالزهد والجهر بالحق، وهاتان الميزتان هما السبب الوحيد لنسبة الاشتراكية إلى أبي ذر.
لقد غضب عثمان على أبي ذر، فظن أن غضبه هذا سيضع حدا لنشاط أبي ذر، لكن الذي حصل هو العكس. خصوصا بعد أن انقطعت الشعرة التي كانت بينهما. فأمره باللحوق بالشام.
ففي الشام كان المجال لأبي ذر أوسع من أي بلد آخر. فهو يعرف معاوية على حقيقته، ويعرف إسلام معاوية وإسلام أبيه من قبله، كان صريحا في موقفه الذي ربما تكتم منه بعض الشئ في المدينة، وبذلك فتح على عثمان جبهة جديدة - ربما لم تخطر على باله - استهدفته ومعاوية معا - ولم يكن أبو ذر، غريبا عن الشام - أرض الجهاد - على حد تعبيره وعن معسكر المسلمين هناك، فقد اشترك في غزوة (الصائفة) - الروم، كما شارك في فتح (قبرص)! فكان معاوية أحرص على إبعاده عنه، من إبعاد عثمان إياه عن المدينة. فكتب إلى عثمان فيه: إنك قد أفسدت الشام على نفسك بأبي ذر (١)
ويظهر أن عثمان - بعد ورود كتاب معاوية عليه - وجد مبررا للانتقام من أبي ذر، وتأديبه كما يشتهي، فكتب إلى معاوية: أما بعد فأحمل جندبا إلى علي أغلظ مركب وأوعره (٢)

---

(١) تاريخ اليعقوبي: ج ٢ ص ١٧٢.
(٢) الغدير: ج ٨ ص ٢٩٣.

فناداه الناس: أن سلم الله عليك ورحمك، يا أبا ذر! يا صاحب رسول الله! ألا نردك إن كان هؤلاء القوم أخرجوك؟ ألا نمنعك؟ فقال لهم: ارجعوا، رحمكم الله، فإني أصبر منكم على البلوى، وإياكم والفرقة والاختلاف (١)

قال الواقدي: ثم إن عثمان حظر على الناس أن يقاعدوا أبا ذر، أو يكلموه، فمكث كذلك أياما. ثم أتى به، فوقف بين يديه، فقال أبو ذر: ويحك يا عثمان! أما رأيت رسول الله (ص) ورأيت أبا بكر وعمر! هل هديك كهديهم، أما إنك لتبطش بي بطش جبار!

فقال عثمان: اخرج عنا من بلادنا - إلى آخر الرواية.

وفي (مروج الذهب) فقال له عثمان: وارعني وجهك، فقال: أسير إلى مكة، قال: لا والله؟ قال: فتمنعني من بيت ربي أعبده فيه حتى أموت؟ قال: إي والله. قال: فإلى الشام، قال: لا والله. قال: البصرة. قال لا والله، فاختر غير هذه البلدان. قال: لا والله ما أختار غير ما ذكرت لك. ولو تركتني في دار هجرتي، ما أردت شيئا من البلدان، فسيرني، حيث شئت من البلاد. قال: فإني مسيرك إلى الربذة. قال: الله أكبر، صدق رسول الله (ص): قد أخبرني بكل ما أنا لاق. قال عثمان: وما قال لك؟ قال: أخبرني بأني أمنع عن مكة، والمدينة، وأموت بالربذة، ويتولى مواراتي نفر من المؤمنين ممن يردون من العراق نحو الحجاز (٢)

وبحكم الخليفة الخاطئ تقرر النفي للرجل الثائر، أنها خطة يتبعها كل نظام جائر مع كل حر أبي يرفض المساومة على مبادئه أو التنازل عنها، أنها التصفية الجسدية إن أمكن وإن خاف على سلطانه

---

(١) أعيان الشيعة: ج ١٦ ص ٣٥٦.

(٢) مروج الذهب: ج ٢ ص X ٣٤ - ٣٤١.

وملكه فليكن إخماد الصوت بالسجن أو النفي وكذلك تكون نتيجة الأحرار في عالمنا المعاصر بل القديم، إنه النفي.. ما أحسنه إذا كان في سبيل الله.

وأراد الثائر الخروج وهنا أصدر الخليفة الخاطئ أمرا أن لا يودعه أحد، إنه الجور قد ضرب سرادقه واستحكمت حلقاته في بني أمية الذي يمثلهم الخليفة بنزعته اللا إسلامية وامتثل الرعاع خوف السوط وغضب السلطان. ولكن هناك من المؤمنين من آثروا الحق وأعلنوا العصيان فلم يطيعوا أمر الخليفة المنحرف فلذا خرجوا لوداع الغفاري.

إنهم أهل البيت وقطب رحى الحق. خرج الإمام علي وابناه الحسن والحسين وعمار بن ياسر وعقيل بن أبي طالب ولكن السلطة الجائرة راقبت انطلاقة البطل ورأت بأم عينها من خرج لوداعه فدنى جلاوزتها من المشيعين وعلى رأسهم الوزغ بن الوزغ مروان بن الحكم قائلا للسبط المجتبى: - أيها... يا حسن!.. ألا تعلم أن عثمان قد نهى عن كلام هذا الرجل فإن كنت لا تعلم فاعلم ذلك.

وعندما سمع الإمام علي ذلك نهره وحمل على راحلته قائلا له: (تنح نحاك الله إلى النار) (١).

ثم كان مشهد الأحبة الأخير، بما يحمل من كلمات العزاء والتجمل.

إنه مشهد يذيب الفساة الجفاة... ودعه الإمام بقوله: (يا أبا ذر! إنك غضبت لله فارج من غضبت له. إن القوم خافوك على دنياهم وخفتهم على دينك فاترك في أيديهم ما خافوك عليه واهرب منهم بما

---

(١) شرح النهج الحديدي: ج ٨ ص ٢٥٢، ورواه أبو بكر أحمد بن عبد العزيز الجوهري في كتاب (السقيفة).

خفتم عليه فما أحوجهم إلى ما منعتهم وما أغناك عما منعوك.
وستعلم من الرابح غدا والأكثر حسدا ولو أن السماوات والأرضين كانتا على عبد رتقا ثم أتقى الله لجعل الله منهما مخرجا. ولا يؤنسنك إلا الحق ولا يوحشنك إلا الباطل فلو قبلت دنياهم لأحبوك ولو قرضت منهم لأمنوك).
ثم تكلم من بقي من المشيعين وهم قلة قليلة فأجادوا.
وما أن انتهوا حتى ذرف الشيخ دموعه وقال: رحمكم الله يا أهل بيت الرحمة..! إذا رأيتكم ذكرت بكم رسول الله ما لي بالمدينة سكن ولا شجن غيركم أني ثقلت على عثمان بالحجاز كما ثقلت على معاوية بالشام وكره أن أجاور أخاه وابن خاله بالمصرين: البصرة ومصر..
فأفسد الناس عليهما فسيرني إلى بلد ليس به ناصر ولا دافع إلا الله ما أريد إلا الله صاحبا وما أخشى من وحشة الله.
وبلغ أبا الدرداء - وهو في الشام - إن عثمان قد سير أبا ذر إلى الربذة. فقال: إنا لله وإنا إليه راجعون، لو أن أبا ذر قطع لي عضوا أو يدا، ما هجته، بعد أن سمعت النبي (ص) يقول: (ما أظلت الخضراء ولا أقلت الغبراء من رجل أصدق لهجة من أبي ذر) (١).
مكث أبو ذر في الربذة (٢) حتى مات سنة إحدى، وقيل اثنين وثلاثين من الهجرة في خلافة عثمان، فلما حضرته الوفاة، قال لامرأته: اذبحي شاة من غنمك واصنعيها، فإذا نضجت، اقعدي على قارعة الطريق فأول ركب ترينهم قولي: يا عباد الله المسلمين! هذا أبو ذر

---

(١) المستدرك على الصحيحين: ج ٣ ص ٣٤٤.
(٢) الربذة: التي نفى إليها أبو ذر هي بفتح الراء المهملة والياء الموحدة والذال المعجمة على وزن قصبة، قال في (القاموس): هي مدفن أبي ذر الغفاري قرب المدينة وقال الفيومي في (المصباح) هي قرية عامرة في صدر الإسلام وبها قبر أبي ذر الغفاري وهي في وقتنا هذا دارسة لا يعرف بها رسم وهي من المدينة في جهة الشرق على طريق الحاج نحو ثلاثة أيام هكذا أخبرني به جماعة من أهل المدينة في سنة ثلاثة وعشرين وسبعمائة.

صاحب رسول الله (ص) أخبرني إني أموت في أرض غربة، وأنه يلي غسلي ودفني والصلاة على رجال من أمته صالحون. فخرج رهط يريد الحج، منهم مالك بن الحارث الأشتر، وعبد الله بن فضل التميمي، ورفاعة بن شداد الجبلي، حتى قدموا الربذة، فإذا امرأة على قارعة الطريق تقول: يا عباد الله المسلمين! هذا أبو ذر صاحب رسول الله (ص) قد هلك غريبا ليس أحد يعينني عليه!.

فنظر بعضهم إلى بعض، وحمدوا الله على ما ساقوا إليه، واسترجعوا على عظيم المصيبة. ثم أقبلوا معها فجهزوه، وتنافسوا في كفنه حتى خرج من بينهم بالسواء، ثم تعاونوا على غسله، حتى فرغوا منه، ثم قدموا مالك الأشتر (رض) فصلى عليه، ثم دفنوه.

فقال الأشتر على قبره وقال: اللهم هذا أبو ذر صاحب رسول الله (ص) عبدك في العابدين وجاهد فيك المشركين، لم يغير ولم يبدل، لكنه رأى منكرا فغيره بلسانه وقلبه حتى جفي ونفي، وحرم واحتقر، ثم مات وحيدا غريبا.

اللهم فاقصم من حرمه ونفاه من مهاجر، وحرم رسول الله (ص).

وبعدها قدمت الشاة التي صنعت، فقالت: إنه أقسم عليكم أن لا تبرحوا، حتى تتغذوا فتغذوا وارتحلوا (١)

وكانت مصداقا لنبوة ألقاها إليه (ليموتن رجل منكم بفلاة من الأرض، يشهده عصابة من المؤمنين). (٢)

فرحم الله أبا ذر عاش مجاهدا ومات شهيدا دون أن يتنازل عن ذرة واحدة من إيمانه ومبادئه التي آمن بها وسعى في سبيلها.

هذا هو الصحابي الذي يتبناه الإسلام ويدفع الناس إلى الاقتداء به.

---

(١) أعيان الشيعة: ج ١٦ ص ٣٧٢ و ٣٧٣.

(٢) الإستيعاب.

هذا هو النموذج الرائع الذي يقدمه الإسلام لكل الأجيال البشرية الثائرة على الظلم والجور والطغيان، إنه من خلص أصحاب النبي وأعوانه الذين ثبتوا على الإيمان وساروا على هدي النبي وآله الكرام.

سكوت علي عن نفي أبي ذر

وهنا يتساءل المرء ومن حقه أن يتساءل، لماذا سكت علي عن مثل هذا الجور يصيب أبا ذر رأس شيعته العظيم وكبير أعوانه الثائرين في سبيل الحقوق العامة. وفي استطاعة علي أن يمنع عثمان من نفي أبي ذر. وفي استطاعته أن يشعلها ثورة لاهبة على بني أمية وهو صاحب الرأي الوجيه في المسلمين والقول المسموع؟

ثم، ما هو عذره في مثل هذه السكوت؟

وجوابا عن مثل هذا التساؤل، لا بد من القول: إن في الأمر ما هو واضح كل الوضوح، وإن فيه ما هو غامض كل الغموض: أما ما غامض فمرده إلى عصر علي وما فاض به من ملابسات خفية هي من الدقة بحيث يعسر علينا في القرن العشرين أن نحكم رأينا فيها وأن نعرف نسيجها خيطا خيطا. وبحيث يصعب النظر فيها نظرا صادقا سليما إلا إذا كان الناظر مندمجا فيها اندماجا، واعيا كل سبب فيها وكل نتيجة. وهذا ما لا يتيسر لنا في هذا الزمن، وما لا يدرك كنهه الباحثون والدارسون قديما وحديثا، على كثرة ما بحثوا وما درسوا. فقد خفي على هؤلاء جميعا ما لم يخف على علي بن أبي طالب (ع) من دقائق الشؤون في زمانه، فتتصرف بمقتضياتها تصرفا يعرف، هو، أسبابه ونتائجه.

أما هو واضح كل الوضوح فخلاصته أن عليا مفطور على التضحية. بكل ما هو خاص في سبيل ما هو عام. تنبئنا بذلك سيرته صفحة صفحة، وتخبرنا به حياته طورا طورا، وكان به من روح المحافظة على الرسالة الإسلامية ما يجعل كل أمر مهما بغلت خطورته، هينا لديه إزاء ما قد يسئ إلى الرسالة في معنى الاستمرار والانتشار. وهو يعلم من سيرة بني أمية في الجاهلية والإسلام ما يجعله يتحفظ في أن يعلن ثورة عليهم أو يأمر باشتباك معهم، دفعا لما قد يصيب المسلمين على أيديهم عند ذاك من انشقاق. وهو يعلم علم اليقين أن من نوايا الأمويين في خلافة عثمان، التخلص من الفئة التي قام بها الإسلام الصحيح واستمر في عافية.

أولم يكن مروان بن الحكم يشير على عثمان. بمناسبة وبغير مناسبة، أن يقتل عليا وأبا ذر وغيرهما من عظماء المسلمين الذين لا يستطيع مروان ورهطه أن يعبثوا ويفسدوا وهم على قيد الحياة؟ ثم، ماذا يلم بالمجتمع العربي من طغيان وفساد إذا تمت مشيئة مروان؟

أفليس من المنطق، إذن، أن يكتفي علي (ع) بموقفه هذا من قضية أبي ذر وهو الذي وقف من قضاياه الخاصة مثل هذا الموقف محافظة على وحدة الصفوف وعلى ثقة الناس بعضهم ببعض!

ألم يسبق له، من قبل، أن رضى من عمر بن الخطاب بعد بيعة السقيفة أن يدخل عليه، وبيته كعبة للناس، فيأخذه بحمالة سيفه إلى بيت الخلافة لمبايعة أبي بكر، والناس حوله بين متعجب ومتذمر وساخط وكلهم رهن إشارة منه!

أولم يكن باستطاعته عند ذاك أن يشعلها ثورة لاهبة دون هذه المعاملة يبادر بها وهو ركن الإسلام وحصن العدالة وقبلة الناس.

ولكن، ماذا كان من أمره عند ذاك، لقد دهش الناس ساعة رأوا أن عمر يأخذ عليا بحمالة سيفه إلى دار الخلافة. ولكن دهشهم كان أعظم ساعة نظروا إلى وجه علي فإذا هو منبسط مطمئن لا يأمر بفتنة ولا يحدث باشتباك! بل أن دهشهم تعاظم ساعة راحوا يصغون إلى ابن أبي طالب (ع) يجادل القوم هادئا رصينا يثير ولا يثور، فلا تثبت أمام منطقة حجة ولا يصمد لهم برهان!

إذن، فهو على حق في هذا الموقف الذي اتخذ. وهو مدرك كل الادراك ما له وما عليه فلماذا يرضى بمثل هذا الحال ومثل هذه المعاملة! حقا إن دهش أصحابه لعظيم!

غير أن أمرا واحدا فاتهم عند ذاك وهو الأمر الذي لم يفت عليا، بل كان مركز تفكيره والعلة الأولى في انبساط وجهه واطمئنانه: لقد ساهم في بناء الإسلام أجل مساهمة، فهو لذلك مطمئن، وها هو اليوم يدفع من ذاته ثمنا جديدا يقي الرسالة خطرا عظيما إذا انشقت الصفوف واشتبك الناس بعضهم ببعض، فهو لذلك مرتاح.

وماذا عليه وهو من طينة العظماء الحقيقيين أهل التضحية، إن هو قام بتضحية جديدة في سبيل الرسالة! أما موقفه من قضية أبي ذر ساعة نفاه عثمان، فمن الواضح أشبه بموقفه هذا من قضيته هو!

ما هو الجديد الطارئ؟

ومن الغريب حقا أن يقع في خبط باحث معاصر (كأحمد أمين) إذ يرى في أبي ذر الغفاري رجلا ساذجا يقوده عبد الله بن سبأ ويغريه بآراء مزدكية لكي يعينه على خراب البلاد.

ومن الأغرب أن يستشهد أحمد أمين على اقتناع أبي ذر بآراء ابن سبأ المزدكية بهذا القول الذي رواه الطبري قال: قام – أبو ذر – بالشام وجعل يقول: يا معشر الأغنياء! وأسوأ الفقراء، بشر الذين يكنزون الذهب والفضة الخ (١).

فكيف يرى أحمد أمين أن مطالبة الأغنياء بمواساة الفقراء رأي مزدكي ولا يرى أنها رأي إسلامي خالص؟.

ثم، ألا يرى اللحمة والانسجام بين قول أبي ذر: يا معشر الأغنياء! وأسوأ الفقراء، وبين ما يليه من قول (وبشر الذين يكنزون.. الخ) وهو آية قرآنية؟!

أو لم يكن أبو بكر وعمر يعملان ما يقوله أبو ذر فيواسيان الفقراء ويأخذان على أيدي الأغنياء؟

فلماذا لم يخترع لهما أحمد أمين مزدكيا غير ابن سبأ ليقول إنهما تتلمذا له وأخذا عنه آراء مزدكية؟

ويؤكد أحمد أمين في مكان آخر من (فجر الإسلام): أن عبد الله بن سبأ هو الذي حرك أبا ذر الغفاري للدعوة الاشتراكية، وهو الذي كان من أكبر من ألب الأمصار على عثمان (٢) وحاول أن يفسد على المسلمين دينهم، وبث في البلاد عقائد كثيرة ضارة، وكان قد طوف في بلاد كثيرة: في الحجاز والبصرة والكوفة والشام ومصر. فمن المحتمل القريب أن يكون قد تلقى هذه الفكرة من مزدكية العراق أو اليمن، وأعتنقها أبو ذر حسن النية في اعتقادها (٣)

كل هذا ولا يخطر لمؤلف (فجر الإسلام) أن يطرح على نفسه هذا

---

(١) فجر الإسلام: ص ١١٠.

(٢) نفس المصدر: ص ٢٦٩.

(٣) أيضا: ص ١١٠.

السؤال: ما هو الجديد الطارئ في آراء أبي ذر على الإسلام؟ أفليس من تعاليم الإسلام أن للفقراء حقوقا على الأغنياء وأن المسلمين سواء وأن كانزي الذهب والفضة إنما يكنزون ما تكوى به جباههم وجنوبهم وظهورهم في جهنم، كما تقول الآية القرآنية؟
فأي جديد مزدكي على المسلمين في هذه الآراء التي حملها أبو ذر ودافع عنها وهو إنما يدفع بذلك شر الذين حاربهم الإسلام وأنذرهم بنار جهنم!
ثم ما الذي يعوزه رجل كأبي ذر كان رابع المسلمين وصاحب النبي ورفيق الخليفتين الأولين ورأس شيعة على لكي يدرك أن المال للجماعة يعيشون به لا للأفراد يكنزونه وأن هذا المبدأ حق وواجب
وما الذي يعوزه رجل كأبي ذر يدرك أن مال الجماعة قد استأثرت به القلة القليلة في عهد عثمان وإن للجور دولة وسلطانا وأن الإسلام غير هذا فعلى المسلمين أن يغيروا في أرضهم أشياء؟.
وأخيرا، هل كان أبو ذر بحاجة إلى عبد الله بن سبأ لأن يدله ويدل المسلمين على أن عثمان سلك طرق القياصرة والأباطرة في إيثار أقاربه وأنصاره بالحكم والنفوذ والمال، فيدرك أبو ذر أن الحاكمين قد ضلوا ويدرك المسلمون أنهم محرومون مغبونون، فيثور الغفاري ويثور معه الناس؟!
لقد فطن هؤلاء المؤلفون لعبد الله بن سبأ والمزدكية، ولم يفطنوا لأبي ذر والإسلام. وهالهم تأليب ابن السوداء الناس على الأئمة فراحوا يجدون فيه سبب النقمة على عثمان، ولم يهلهم ما أنكره المسلمون على عثمان وما ينكره كل شعب على كل حاكم في كل

عصر من إيثار الفئة القليلة على الجماعة الكثيرة، لهذا راحوا يسألون الساقية الناضبة البعيدة عن مصدر الغيث ولم يسألوا البحر المحيط القريب!

٣ – عمار بن ياسر:

اتفقت الأقوال على أن عمار كان عربيا قحطانيا مذحجيا من عنس – بالنون – في مذحج.. ويقوى لدينا في نسبه أنه عمار بن ياسر بن عامر بن مالك بن كنانه بن قيس بن الحصين بن الوذين – أو الوذيم – بن ثعلبة بن عوف بن حارثة بن عامر بن بأم بن عنس بن مالك بن أدد بن زيد العنسي المذحجي..

وقال بعضهم: ابن عبس – بالباء الموحدة – نسبة إلى عبس القبيلة المشهورة. ومنهم من قال: ياسر بن مالك فأسقط عامرا. وقال بعضهم: عامر بن عنس فأسقط باما. والأول هو المشهور عن المحققين.

فهو عربي صميم ولد في مكة ونشأ فيها بين حلفائه بني مخزوم ويظهر أنه ليس في مكان ولادته خلاف فقد ولد في مكة وليس لدينا من النصوص ما نتبين به نشأته والتعرف عليه واستبطان حقائقه في جاهليته، حتى ولا إلمامات بسيطة نستعين بها على كشف حاله في ذلك العصر المضطرب الذي اشتد فيه التنافس في نعيم الحياة والتكاثر في المال والمفاخرة في الأنساب..

مع الرسول:

إن عمارا ووالداه أسرة واحدة خطت في درب الجهاد فلم ترجع إلا

بالشهادة شهادة الأم تحت سياط الجلادين وحراب الطواغيت، شهادة فريدة سجلتها في قائمة الخالدين الرساليين، أنها سمية التي تقاطرت دماؤها لتزرع محل كل قطرة سقطت شهيدا يرفع علم الإسلام خفاقا.
أنها المرأة التي قالت ربي الله فأبى الكافرون ذلك النداء فسلطوا حرابهم وسياطهم لإخماد ذلك الصوت وقتله، أنها المرأة التي أعطت أعظم دروس التضحية في سبيل عقيدتها وإيمانها ولم تساوم عليهما، وقد سجل تأريخ الإسلام قبل الهجرة موقفا بطوليا (لسمية بنت خياط) عز على كثير من الرجال أن يقفوه في هذا المقام، فقد بلغ منها العذاب أوجهه وهي مستمسكة بدينها مستعصمة بالصبر أمام الموت الوافد إليها من تلك الطعنة وتسيل مع أنفاسها ودمائها كلمة: (أحد أحد... لا شريك له..) تلفظها متقطعة مع النفس الأخير. وتذهب إلى ربها مغسلة بدم الشرف والطهر من طعنة الإنسان الدنس ولم تنفرج شفتاها عن كلمة الشرك وتقدمت إلى الله بالقلب النقي الطاهر يحمل التوحيد.
هذه أم عمار (رض).
أما الأب ياسر الذي لاقى الكثير من عذاب قريش كان أقوى من كل قوى الشر والبغي فتحدى جبروت الطغاة وظلمهم بعزة الإسلام وعنفوانه وأعلن أمام الملأ من قريش أنه لن يعطيهم من دينه شيئا، لن يعطيهم ولو بلسانه ما يرضيهم، إنه الشموخ والعزة بالمبدأ الذي ملك عليه كل شعوره فكأن كل سوط يلسع جسده يد حالمة تمر عليه برفق ولين لتعطيه الدف ء وتغدق عليه الإيمان وتبعث في جسده الحياة من جدير براحة نفس واطمئنان ضمير.
إنه مجد ناله الأب ياسر على أيدي جلاديه، لقد عذب بسياطهم ونالوا منه ما يشفي حقدهم وغرورهم حتى أتوا على نفسه فمات شهيدا

طليعيا من طلائع الفتح الإسلامي وركنا من أركان تثبيت قواعد الحق والإيمان.

لا نشك في أن موقف سمية هذا البطولي الفريد، قد أعطى زوجها وابنها ثباتا وعزما استطاعا به أن يحتملا العذاب وأن يقفا في وجه سادة قريش، وأن يذلا كبرياءهم وينزلا بهم تلك الهزيمة الفاضحة.

نعم من هذين الأبوين ولد عمار ومعهما تعذب وناله ما نالها من الآلام والاضطهاد، وعلى درب أبويه سار في طريقه الجهادي المبارك، قد عذبته قريش وتفننت في تعذيبه كانوا يخرجون عمارا وأباه وأمه إلى الأبطح إذا حميت الرمضاء يعذبونهم بحرها فيمر بهم النبي (ص): ولم يكن لهذا النبي الرؤوف الرحيم في موقفه من أسباب الدفاع إلا أن يجأر إلى ربه بالدعاء ويرفع يديه إلى السماء ويقول: (صبرا يا آل ياسر فإن موعدكم الجنة، اللهم لا تعذب أحدا من آل ياسر بالنار) (١)

فمات ياسر من العذاب وكذلك امرأته سمية فكانت أول شهيدة في الإسلام، وأما عمار فشددوا العذاب عليه بالحر تارة وبوضع الصخر على صدره أخرى وبالتغريق ثالثة..

وهكذا. ويشاء الله أن ينجو الابن عمار ليكمل شوط الجهاد المقدس فكان رفيق النبوة في كل غزواتها لقد شهدها كلها لم يتخلف عن واحدة منها حبا لله وجهادا في سبيله،

قال ابن عباس كما في (الواحدي): إن المشركين أخذوا عمارا وأباه ياسرا وأمه سمية وصهيبا وبلالا وخبابا وسالما، فأما سمية فإنها ربطت بين بعيرين و... وقتل زوجها ياسر وهما أول قتيلين قتلا في الإسلام وأما عمار فإنه أعطاهم ما أرادوا بلسانه مكرها فأخبر بأن

---

(١) مناقب الخوارزمي.

(٢) ابن الأثير في (تأريخه): ص ٦٧.

عمارا كفر. فقال (ص): (كلا إن عمار ملئ إيمانا من قرنه إلى قدمه وأخلط الإيمان بلحمه ودمه)، فأتى عمار رسول الله (ص) وهو يبكي فجعل رسول الله (ص) يمسح عينيه وقال: (إن عادوا لك فعد لهم بما قلت) فأنزل الله تعالى الآية.

وهنا تدخلت إرادة الله لتحسم الموضوع وتجلى الأمر وتظهر إيمان عمار الثابت المستقر فيلتحم قول الله مع قول رسوله ليشكلا أقوى الدعائم في تثبيت عمار وبيان إيمانه أنه عمار الذي نزل فيه قوله تعالى (من كفر بالله من بعد أيمانه ألا من أكره وقلبه مطمئن بالإيمان ولكن من شرح بالكفر صدرا فعليهم غضب من الله ولهم عذاب عظيم) (١)

أنها الرخصة لهذا البطل كي يعطيهم بلسانه ما أرادوا شريطة أن يبقى الإيمان مستقرا في جنانه وقد ذكر أهل التفسير أنها نزلت في عمار. وهناك الكثير من الأحاديث التي تبين فضل عمار وعلو منزلته.

١ - (إن عمارا ملئ إيمانا إلى مشاشه).

٢ - وأخرج ابن هشام: (ما لهم ولعمار؟ يدعوهم إلى الجنة ويدعونه إلى النار، إن عمارا جلدة ما بين عيني وأنفي..)

٣ - (من يحقر عمارا يحقره الله ومن يسب عمارا يسبه الله ومن ينتقص عمارا ينتقصه الله ومن يعاد عمارا يعاده الله).

٤ - استأذن عمار على النبي (ص) فعرف صوته فقال: (مرحبا بالطيب المطيب). وقال (ص) لخالد بن الوليد لما كان بينه وبين عمار شئ (من أبغض عمارا أبغضه الله ومن عادى عمارا عاداه الله).

٥ - وصح عن النبي (ص) أنه قال لعمار: (تقتلك الفئة الباغية وآخر

---

(١) سورة النحل / آية ١٠٦، رواه أبو بكر بن مردويه في (كتابه) والواحدي في (أسباب النزول) عن ابن عباس وقتادة.

شرابك ضياح من لبن) (٢)
لم يتوان عمار (رض) طيلة حياة النبوة عن خوض المعارك الإسلامية معارك الجهاد والشرف والبطولة والكفاح بل رافق النبي في جهاده من غزواته الأولى إلى آخر الغزوات وقد أبلى البلاء الحسن وعرف بمواقفه الصلبة ودفاعه عن النبي ولما أنتقل النبي (ص) إلى ربه كان أحد الأركان الذين لاذوا بآل الرسول واعتصموا بحبلهم فلم يفارق أمير المؤمنين على (ص) بل لزمه معترفا أن الخلافة له وأنه صاحبها الشرعي الموصى له بها وبقي وفيا له ملازما لطريقه،...

تشيع عمار:

أحد الأركان الأربعة وقد تكررت منا هذه اللفظة في هذا الكتاب ومعناها الأربعة الذين كانوا شيعة لعلي (ع) على عهد رسول الله (ص) وكان التشيع قائما بهم، وهم سلمان وأبو ذر والمقداد وعمار (رض) فكانوا هم الأركان الأربعة للتشيع، والسابقين الأولين كما تقدم النص عليه. (١)

وكان (رض) أحد الذين أنكروا على أبي بكر جلوسه على كرسي الخلافة وتقدمه على علي (ع) فقال: يا أبا بكر! لا تجعل لنفسك حقا جعل الله عز وجل لغيرك ولا تكن أول من عصى رسول الله (ص) وخالفه في أهل بيته وأردد الحق إلى أهله تخف ظهرك وتقل وزرك وتلقى رسول الله (ص) وهو عناك راض ثم تصير إلى الرحمن فيحاسبك بعملك ويسألك عما فعلت. (٢)

وقد رووا أن عثمان بن عفان أرسل رجالا يتحرون العمال، ومنهم عمار (رض)، أرسله إلى مصر فعادوا يمتدحون الولاة إلا عمارا

---

(١) تأريخ بغداد: ج ١ ص ١٥٠.
(٢) كتاب الزينة: ج ٣.

استبطأه الناس، حتى ظنوا أنه أغتيل، فلم يفاجئهم إلا كتاب من عبد الله بن أبي سرح والي مصر يخبرهم أن عمارا قد استمال القوم بمصر، وقد انقطعوا إليه، فكان تصريح عمار بالحق سبب اعتداء غلمان عثمان عليه فضربوه، حتى انفتق له فتق في بطنه، وكسروا ضلعا من أضلاعه. (٣) فغشي عليه فجروه حتى طرحوه على باب الدار فأمرت به أم سلمة زوج النبي (ص) فأدخل منزلها وقال عمار: ما هذا بأول ما وذيت في الله.

وعندها أطلعت عائشة شعرا من رسول الله (ص) ونعله وثيابا من ثيابه ثم قالت: ما أسرع ما تركتم سنة نبيكم، وقال عمرو بن العاص: هذا منبر نبيكم وهذه ثيابه وهذا شعره لم يبل فيكم وقد بدلتم فغضب عثمان حتى لم يدر ما يقول.

وتمضي الأيام ويحكم الإسلام على الخليفة حكمه العادل فيقضى قتيلا بأيدي الصحابة وتعود الخلافة الشرعية إلى صاحبها الإمام علي (ع) فتفرح القلوب المؤمنة وتنشرح الصدور الطاهرة التي آذاها هذا الفرق الطويل ويكون عمار في أول الركب يبارك لعلي بعودة حقه إليه، يبارك له في رجوع الحق إلى نصابه وينضوي تحت لوائه معلنا أن الجهاد بين يديه كالجهاد بين يدي رسول الله.

وسمع عمار بن ياسر (رض) يقول عند توجهه إلى (صفين) تلك المعركة التي دارت رحاها بين الحق والباطل بين الخليفة الشرعي أمير المؤمنين علي (ع) وبين الطاغية معاوية: اللهم لو أعلم أنه أرضى لك أن أرمي بنفسي من فوق هذا الجبل لرميت بها، ولو أعلم أنه أرضى لك أن أوقد لنفسي نارا فأقع فيها لفعلت، وإني لا أقاتل أهل الشام إلا

---

(٣) أعيان الشيعة: ج ٤٢ ص ٢١٣.

وأنا أريد بذلك وجهك، وأنا أرجو أن لا يخيبني وأنا أريد وجهك الكريم. (١)

إن عمارا هو الميزان فمن كان إلى جانبه فهو على الحق وغيره على الباطل، إن عمارا في صف على وتحت رايته فأعلام الحق في صف ابن أبي طالب (ع).

عن رجل من بني سعد قال: كنت واقفا إلى جنب الأحنف بن قيس والأحنف إلى جنب عمار فقال عمار: حدثني خليلي (ص) إن آخر زادي في الدنيا ضياح من لبن قال: فبينا نحن وقوف إذ سطع الغبار وقالوا: جاء أهل الشام فقام السقاة يسقون الناس فجاءت جارية معها قدح فناولته عمارا فشرب وأعطى الأحنف وناولني فضلة فإذا هو لبن فأخفيت إلى الأحنف فقلت: إن كان صاحبك صادقا لتقتلن الآن فحمل فسمعته يقول: الجنة تحت الأسنة، اليوم ألقى الأحبة، محمدا وحزبه فكان آخر العهد به. (١)

ومما جاء عن خزيمة بن ثابت أنه شهد الجمل وقال: لا أسل سيفا وشهد صفين وقال: لا أصلي أبدا أي لا أصلي خلف إمام حتى يقتل عمار فانظر من يقتله فإني سمعت رسول الله (ص) يقول: (تقتله الفئة الباغية) فلما قتل عمار بن ياسر قال خزيمة: قد جازت لي الصلاة. ثم اقترب فقاتل حتى قتل وكان الذي قتل عمار (رض) أبو عادية المزني طعنه برمح فسقط وكان وكان يومئذ يقاتل وهو ابن أربع وتسعين سنة فلما وقع أكب عليه رجل آخر فاحتز رأسه فأقبلا يختصمان كلاهما يقول: أنا قتلته، فقال عمرو بن العاص: والله إن تختصمان إلا في النار فسمعها معاوية منه فلما أنصرف الرجلان قال معاوية لعمرو: ما رأيت

---

(١) أمالي الطوسي: ج ٦ ص ١٨٠.
(٢) مناقب الخوارزمي: ص ١٢٨.

مثل ما صنعت قوم بذلوا أنفسهم دوننا تقول لهما: إنكما لتختصمان في النار، فقال عمرو: وهو والله ذاك والله إنك لتعلم ولوددت أني مت قبل هذا اليوم بعشرين سنة. (٢)

نعم، إنه العهد والعلامة التي توقعها عمار من النبي حيث قال له: (آخر رزقك من الدنيا ضياح من لبن. وعمار تقتله الفئة الباغية ورأس هذه الفئة معاوية) (٣)

قد تحقق. وقتل بين يدي علي (ع) بصفين (سنة ٣٧ ه) كما شهد حروب على كلها وصلى عليه ودفنه هناك ولم يغسله ومناقبه مشهورة وسوابقه معروفة. (٤)

وذكره أمير المؤمنين (ع) في بعض خطبه قال: (ما ضر إخواننا الذين سفكت دماؤهم أحياء يسيغون الغصص ويشربون الرنق قد والله لقوا الله فوفاهم أجورهم وأحلهم دار الأمن بعد خوفهم. أين إخواني الذين ركبوا الطريق ومضوا على الحق؟ أين عمار بن ياسر وابن التيهان؟ وأين ذو الشهادتين، وأين نظراؤهم من إخوانهم الذين تعاقدوا على المنية وابرد برؤوسهم إلى الفجرة)

ثم ضرب (عليه السلام) يده على لحيته الشريفة الكريمة فأطال البكاء ثم قال: (اوه على إخواني الذين تلوا القرآن فأحكموه وتدبروا الغرض فأقاموه أحيوا السنة وأماتوا البدعة، دعوا للجهاد فأجابوا ووثقوا بالقائد فأتبعوه،) ومن شعره (عليه السلام) يوم مقتل عمار بن ياسر بصفين:

---

(٢) نفس المصدر: ص ١٢٣.

(٣) الأخبار الطوال للدينوري: ص ١٤٩.

(٤) تأريخ بغداد: ج ١ ص ١٥٠.

ألا أيها الموت الذي ليس تاركي
أرحني، فقد أفنيت كل خليل
أراك بصيرا بالذين أحبهم
كأنك تنحو نحوهم بدليل

يستشف من كلامه (ع) أن عمارا (رض) كان قد أتاه الله الحكمة. وعمار واحد من أولئك القلائل الذين سطروا صفحات التاريخ الناصعة وأصبحوا قمما شماء في دنيا الفضيلة والمجد، وقليلون أولئك الذين يحبهم الله ويغشيهم برحمته وظله يوم لا ظل إلا ظله.

أجل هذا غيض من فيض بركات الجاهلية السوداء التي أعاد أمجادها الفارس الهمام (معاوية) فعمار (رض) ظل وفيا لما أعلنه سابقا ولن تراجع عن موقفه في الوقوف إلى جانب علي (ع) والمحرومين.. وإنه ينتصر دوما للحق. وقد قدم ما كان قادرا عليه. فكان ابن الرسالة البر المجاهد ورفيق الإمامة في مسيرها النضالي الشريف ضد الكفرة والمنحرفين. (فأتاهم الله ثواب الدنيا وحسن ثواب الآخرة). (١)

---

(١) سورة آل عمران / الآية ١٤٨.

٤ – المقداد بن الأسود
نسبه: هو المقداد بن أسود بن يغوث بن عبد مناف بن زهرة الزهري. وكان الأسود بن يغوث قد تبناه وحالفه في الجاهلية فنسب إليه واسم أبيه الحقيقي عمرو بن ثعلبة بن مالك بن ربيعة بن ثمامة بن طرود بن عمرو بن سعد بن وهب بن ثور بن تغلبة بن مالك بن الشريد بن هزل بن قايش بن دريم بن القيم بن أهود بن بهراء بن عمرو بن الحاف بن قضاعة البهرائي – نسبة إلى بهراء – وهي نسبة على غير قياس لأن قياسه بهراوي بالواو.
وينسب المقداد إلى كندة أيضا، قال ابن عبد ربه في (العقد الفريد): وذلك أن كندة سبته في الجاهلية فأقام فيهم وانتسب إليهم.
وقال ابن عبد البر: قبل: أنه كان عبدا حبشيا للأسود بن عبد يغوث فتبناه واستلحقه والأول أصح.
كنيته: ويكنى أبا معبد، وقيل: أبا الأسود، كان رجلا ضخما أسمر اللون طويل القامة شجاعا وكان قديم الإسلام ولم يقدم على الهجرة ظاهرا فأتى مع المشركين من قريش هو وعتبة بن غزوان ليتوصلا إلى المسلمين فانحاز إليهم وذلك في السرية التي بعث فيها رسول الله (ص) عبيدة بن الحرث بن عبد المطلب حين رجع من غزوة (الأبواء) قبل أن يصل إلى المدينة فسار عبيدة في ستين رجلا حتى بلغ ماء الحجاز بأسفل ثنية المرة فلقي جمعا عظيما من قريش وكان على المشركين أبو سفيان – صخر بن حرب – وقيل: عكرمة بن أبي جهل، وقيل: غير ذلك، فتراموا بالنبل ولم يقع بينهم ضرب السيوف فظن

المشركون أن للمسلمين مددا فخافوا وانهزموا ولم يتبعهم المسلمون. فانحاز يومئذ المقداد وعتبة بن غزوان المازني إلى المسلمين وكانا مسلمين لكنهما خرجا ليتوصلا بالكفار وكانت هذه السرية على رأس ثمانية أشهر من السنة الأولى من الهجرة، وشهد المقداد في ذلك العام المشاهد كلها.

قالوا في المقداد

قال ابن مسعود: أول من أظهر الإسلام سبعة فذكر منهم المقداد (رض) وكان من الفضلاء النجباء، ولم يصح أنه كان في (بدر) فارس من المسلمين غيره.

أخرج (مسلم) و (الترمذي) عن المقداد (رض) قال: أقبلت أنا وصاحبان لي قد ذهبت أسماعنا وأبصارنا من الجهد فجعلنا نعرض أنفسنا على أصحاب رسول الله (ص) فليس أحد فيهم يقبلنا فأتينا النبي (ص) فانطلق بنا إلى أهله فإذا ثلاثة أعنز فقط، فقال النبي (ص): (احتلبوا هذا اللبن بيننا)، قال: فكنا نحتلب ويشرب كل إنسان منا نصيبه ونرفع لرسول الله (ص) نصيبه، قال: فيحيى من الليل فيسلم تسليما لا يوقظ نائما ويسمع اليقظان، قال ثم يأتي المسجد فيصلي، قال: ثم يأتي شرابه فيشرب فأتاني الشيطان ذات ليلة وقد شربت نصيبي فقال: محمد (ص) يأتي الأنصار فيحتفونه ويصيب عندهم ما به حاجة إلى هذه الجرعة فأتيتها فشربتها فلما أن وغلت بطني وعلمت أن ليس لي إليها سبيل ندمني الشيطان، فقال: ويحك ما صنعت أشربت شراب محمد (ص) فيجيئ فلا يجده فيدعو عليك فتهلك فتذهب دنياك وآخرتك

وعلى شملة إذا وضعتها على قدمي خرج رأسي وإذا وضعتها على رأسي خرج قدمي وجعل لا يجيئني النوم.
فأما صاحباي فناما ولم يصنعا ما صنعت، قال: فجاء رسول الله (ص) فسلم كما كان يسلم ثم أتى المسجد فصلى ثم أتى شرابه فكشف عنه فلم يجد فيه شيئا فرفع رأسه إلى السماء، فقلت: الآن يدعو على وأهلك، فقال (ص): (اللهم أطعم من أطعمني واسق من سقاني)، قال فعمدت إلى الشملة فشددتها على وأخذت الشفرة فانطلقت إلى الأعنز أيها أسمن فأذبحها لرسول الله (ص) وإذا هي حافل وإذا هن حفل كلهن فعمدت إلى إناء كان لآل محمد (ص) ما كانوا يطمعون أن يحتلبوا فيه فحلبت فيه حتى علت رغوته فجئت إلى رسول الله (ص) فقال: (أشربتم شرابكم الليلة)؟ قلت يا رسول الله! اشرب فشرب ثم ناولني ما زاد.
وفي رواية (رزين) فقلت: يا رسول الله! اشرب فشرب ثم ناولني ثم أنقفا فلما علمت أن رسول الله (ص) قد روى أجيبت دعوته ضحكت حتى ألقيت إلى الأرض، فقال رسول الله (ص): (إحدى سوآتك يا مقداد)، فقلت: يا رسول الله (ص)! كان من أمري كذا وكذا، وفعلت كذا وكذا، فقال رسول الله (ص): (ما هذه إلا رحمة من الله أفلا كنت آذنتني فتوقظ صاحبينا فيصيبان منها معنا)، فقلت والذي بعثك بالحق إذ أصبتها وأصبتها معك لا أبالي من أخطأته من الناس.
قال ابن مسعود: لقد شهدت من المقداد مشهدا لأن أكون صاحبه أحب إلي مما طلعت عليه الشمس وذلك أنه أتى النبي (ص) وهو يذكر المشركين، فقال يا رسول الله! إنا والله ما نقول كما قال أصحاب موسى لموسى: اذهب أنت وربك فقاتلا إنا هاهنا قاعدون ولكنا نقاتل

بين يديك ومن خلفك وعن يمينك وعن يسارك فرأيت رسول الله (ص) يشرق وجهه لذلك وسره وأعجبه.
وروى أحمد بن حنبل في (مسنده) مرفوعا إلى بريدة قال: قال رسول الله (ص): (إن الله يحب من أصحابي أربعة أخبرني أنه يحبهم وأمرني أن أحبهم) قالوا: من هم يا رسول الله؟ قال: (إن عليا منهم وأبو ذر الغفاري وسلمان الفارسي والمقداد بن الأسود الكندي).
وقال العلامة - رحمه الله - في (الخلاصة): كان المقداد ثاني الأربعة عظيم القدر شريف المنزلة جليلا من خواص علي عليه السلام.
وأخرج الكشي، عن سيف بن عميرة، عن أبي بكر الحضرمي، قال: قال أبو جعفر (ع): (ارتد الناس إلا ثلاثة نفر: سلمان وأبو ذر والمقداد)، قال: فقلت فعمار؟ قال (قد كان حاص حيصة ثم رجع) (١)

---

(١) رجال الكشي: ص ٨، أقول: رمى دعاة السوء ورواة الأكاذيب عمارا بالريب والشك والعدول عن الصراط السوي (يوم الفتنة الأولى) غير أن الشهادة بصفين غسلت ذلك الدرن ونسبوا القول إلى الإمام الباقر (ع): (أنه حاص حيصة).
ولا غرابة في ذلك بعد أن أعلمنا التاريخ جهد معاوية في الوقيعة برجالات الشيعة وبذله الأموال للحط من مقدارهم ومقامهم الرفيع لتنفر الناس عنهم فلا يقبلوا لهم حديثا في فضل أمير المؤمنين وولده عليهم السلام.
وإن العجب لا ينقضي ممن يؤمن بهذا الافتعال ويذعن بقول النبي (ص): (عمار مع الحق وقد ملئ إيمانا من قرنه إلى قدمه). ثم يتشدق في الوقيعة برجل الإيمان والعقيدة الصادقة. وأقبح من هذا الاعتذار عنه بأنه غسلها بالشهادة بصفين ومتى صدرت منه هذه الزلة حتى يعتذر له بذلك.
على أن الحديث نفسه كما رمي عمارا بهذه الشائنة حط من أخويه سلمان وأبي ذر (رضي الله عنهم) حيث أثبت في قلب سلمان شيئا وأن أبا ذر خالف أمر أمير المؤمنين بالسكوت.
وفي (البحار): ج ٨ ص ٥١ عن (الإختصاص) للشيخ المفيد في خبر أن سلمان الفارسي كان من إلى ارتفاع النهار وأبو ذر كان منه إلى وقت الظهر فعاقبهما الله بأن وجئت عنق سلمان وحمل أبو ذر على قتب ونفي عن حرم الرسول (ص) ولكن من الواضح الجلي أن تلك النسبة إلى عمار وأخويه كاذبة أرادوا بها الحط من هؤلاء الأوتاد الذين جاهروا بالإنكار على من اغتصب الخلافة الإلهية الكبرى.
كيف وقد بلغ حواري النبي (ص) الغابة القصوى تجاه أمام كل عثرة في سبيل الدين وضحوا دونه النفس والنفيس.
على أن رجال هذه الأخبار الحاملة للحط من عمار وأخويه مجهولون فلا يعبأ بمروياتهم ولكن أين من يفقه النكاة الدقيقة ليعرف ما أراده أعداء الدين من تشويه مقام هؤلاء الرجال وأنهم كيف يدسون السم في العسل.
وإلى أمثال هذه الروايات يشير الإمام الباقر (ع) كما في (شرح النهج الحديدي): ج ٣ ص ١٥ فيقول: (إن الرجل قد يكون من أهل الخير وهو ورع صدوق

فيحدث بأحاديث عجيبة من تفضيل السلف وغيره ولم يخلق الله شيئا منها).
إذا فمن واجب الباحث التريث فيما رووه من مقادير الرجال لئلا يتورط في
مس الكرامات فيعوزه العذر يوم الحساب أو يندم (ولات حين مندم).

ثم قال (ع): (إن أردت الذي لم يشك ولم يدخله شئ فالمقداد).
وفي رواية: (ما بقي أحدا إلا وقد جال جولة إلا المقداد بن الأسود فإن قلبه كان مثل زبر الحديد).
وعن جميل بن أبي ثابت قال: قال المقداد بن الأسود: أدخلوني معكم في الشورى؟ قالوا: لا، قال: فاجعلوني قريبا منكم فأبوا، قال: فإذا أبيتم فلا تبايعوا رجلا لم يشهد بدرا ولا بيعة الرضوان وانهزم يوم أحد، فقال عثمان: لأن وليت رددتك إلى مولاك الأول، فلما مات المقداد (رض) قام عثمان على قبره، فقال: إن كنت وإن كنت، وأثنى خيرا، فقال الزبير شعرا:

لا عرفنك بعد الموت تندبني * وفي حياتي ما زودتني زادي

فقال عثمان: تستقبلني بمثل هذا يا زبير! فقال: ما كنت أحب أن يموت مثل هذا من أصحاب رسول الله (ص) وهو عليك ساخط (١)
وقال الإمام الصادق (ع): (لم يتغير المقداد منذ قبض رسول

---

(١) الشيعة في الميزان: في ١٠١.

الله (ص)، حتى فارق الدنيا طرفة عين).
تشيع المقداد:
قال لعلي (ع) يوم السقيفة: أن أمرتني لأضربن بسيفي، وأن أمرتني كففت، فقال له: (أكفف) (٢)
وهو الذي أحتج على بيعة أبي بكر في (السقيفة) فقال: يا أبا بكر! أربع على نفسك وقس شبرك بفترك والزم بيتك وابك على خطيئتك فإن ذلك أسلم لك في حياتك ومماتك ورد هذا الأمر إلى حيث جعله الله عز وجل ورسوله ولا تركن إلى الدنيا ولا يغرنك من قد ترى من أوغادها فعما قليل تضمحل عنك دنياك ثم تصير إلى ربك فيجزيك بعملك وقد علمت أن هذا الأمر لعلي (ع) وهو صاحبه بعد رسول الله (ص) وقد نصحتك إن قبلت نصحي. (٣)
وقال (رض) يوم بويع عثمان: واعجبا من قريش، واستئثارهم هذا الأمر من أهل البيت (ع) معدن الفضيلة، ونجوم الأرض، ونور البلاد، وأن منهم رجلا – أي عليا – ما رأيت بعد رسول الله (ص) أولى بالحق ولا أقضى بالعدل والأمر بالمعروف منه.
وأخرج الشيخ الطوسي في (أماليه) بإسناده عن لوط بن يحيى قال: حدثني عبد الرحمن بن جندب قال: لما بويع عثمان سمعت المقداد بن الأسود الكندي يقول لعبد الرحمن بن عوف: والله يا عبد الرحمن! ما رأيت مثل ما أتي إلى أهل هذا البيت بعد نبيهم، فقال له عبد الرحمن: وما أنت وذاك يا مقداد؟

---

(٢) نفس المصدر: ص ١٠٠.
(٣) خصال الصدوق: ج ٢ ص ٢٣٢.

قال: والله إني لأحبهم لحب رسول الله (ص) إياهم ويعتريني وجد لا أبثه لشرف قريش على الناس بشرفهم واجتماعهم على نزع سلطان رسول الله (ص) من أيديهم.
فقال له عبد الرحمن: ويحك والله لقد أجهدت نفسي لكم.
فقال له المقداد (رض): والله لقد تركت رجلا من الذين يأمرون بالحق وبه يعدلون، أما والله لو أن لي على قريش أعوانا لقاتلتهم قتالي إياهم يوم بدر واحد.
فقال له عبد الرحمن: ثكلتك أمك يا مقداد! لا يسمعن هذا الكلام منك الناس أما والله إني لخائف أن تكون صاحب فرقة وفتنة.
قال جندب: فأتيته بعد ما أنصرف من مقامه، فقلت: يا مقداد! أنا من أعوانك، فقال: رحمك الله أن الذي نريد لا يغني فيه الرجلان والثلاث.
فخرجت من عنده وأتيت علي بن أبي طالب (ع) فذكرت له ما قال وقلت فدعى لنا بخير.
وروى عن الشعبي قال: لما بايع عبد الرحمن بن عوف عثمان بن عفان لقيه المقداد من الغد فأخذه بيده وقال: إن كنت أردت بما صنعت وجه الله فأثابك الله ثواب الدنيا والآخرة، وإن كنت إنما أردت الدنيا فأكثر الله مالك.
فقال عبد الرحمن: اسمع - رحمك الله - اسمع؟ قال: لا أسمع وجذب يده ومضى حتى دخل على علي (ع) فقال: قم فقاتل حتى نقاتل معك، فقال علي (ع) (فيمن نقاتل رحمك الله).
وروى مسلم عن همام بن الحارث: أن رجلا جعل يمدح عثمان فعمد المقداد (رض) وجثا على ركبتيه وكان رجلا ضخما فجعل يحثو في وجهه الحصى.
فقال عثمان: ما شأنك؟

قال: إن رسول الله (ص) قال: (إذا رأيتم المداحين فاحثوا في وجوههم التراب) (١) هذا لفظ الحديث.
قال صاحب (الطرائف): في هذا الحديث عدة طرائف.
فمن طرائفه: أن الصحابة قد كان يمدح بعضهم بعضا وما نقل أحد منهم أنه حثا في وجه المادحين فلولا أن عثمان بلغ إلى حال من النقص لم يبلغ إليه أحد من الصحابة لم يحث التراب في وجه مادحه.
ومن طرائفه: أن عثمان لما كان عالما أن هذا لا يعمل مع أحد قال للمقداد: ما شأنك؟
ومن طرائفه: أن المقداد (رض) ممن أجمع المسلمون على صلاحه وصواب ما يعمله.
ومن طرائفه: أن هذا قد جرى من المقداد (رض) وشاع إلى زماننا هذا وما سمعنا أن أحدا من المسلمين أنكر على المقداد ولا خطأه.
ومن طرائفه: أن هذا يقتضي أن من مدح عثمان فكذا ينبغي أن يحثى التراب في وجهه اقتداء بالمقداد الذي أجمع المسلمون على صلاحه.
وفاته
ومات المقداد في سنة ثلاث وثلاثين من الهجرة في أرضه بالجرف فحمل إلى المدينة ودفن بالبقيع وكان قد شرب دهن الخروع فمات رحمه الله.
انتهى الجزء الأول من (موسوعة الشيعة) ولله الحمد أولا وآخرا والصلاة والسلام على خير خلقه المبعوث محمد صلى الله عليه وعلى ابن عمه علي بن أبي طالب أمير المؤمنين وعلى ابني ابنته وسبطيه الحسن والحسين وعلى ذريته المعصومين الطيبين من ذرية الحسين عليهم أفضل الصلاة والسلام.

---

(١) صحيح مسلم: ج ٣.